المحتويات

قيصر عفيف	كائنات معلّبة	3
م. علاء الدين عبد المولى	يوم من شعر، أبدٌ من وجود	4
آيات صادق	سبع قصائد	9
لقمان محمود	أوكرانيا	15
محمد فاهي	حفيف الغابة	17
ليال أحمد	قصيدتان	21

ملفّ عن الشاعر محمد عفيف الحسيني

1. محمد عفيف الحسيني	مختارات من شعره	24
2. إبراهيم محمود	لا لن أسامحك يا محمد عفيف الحسيني	36
3. إبراهيم اليوسف	محمد عفيف الحسيني في بهارات هندو أوربية	39
4. عبد الهادي سعدون	جهةَ الأربعاء لمحمد عفيف الحسيني	44
5. عبد الرحمن محمد	محمد عفيف الحسيني قريب كالمجرة بعيد كعامودا	47
6. محمد نور الحسيني	قصيدتان إلى محمد عفيف الحسيني	49
7. خضر سفليج	إلى البستاني الأعمى	58
يارا باشا	الحاضر متعب يا صديقي	60
تشارلز سيمك (قصائد)	ترجمة أحمد م. أحمد	66
عمار شرف الدين	أربع قصائد	74
نمر سعدي	خمس قصائد	77
إبراهيم اليوسف	باتزمي	81
أحمد حافظ	قصائد	89
محمد نجيم	الصلاة لا تعاد إلى كأس اللغة	92
فراس حج محمد	ستبقين المرأة الزاهية	93
رامز النويصري	سببية	95

فتحية البو	قصائد قصيرة	96
هند زيتوني	قصيدتان	99
	مقالات	
محمود شريح	شوقي أبي شقرا يختطّ سكة الحداثة	101
م. علاء الدين عبد المولى	غاب زهر اللوز أبعد	104
نمر سعدي	محمد علي شمس الدين الذي كتب بلغة الرؤيا	111

كائنات معلّبة

قيصر عفيف

سكّانُ المدينة كائناتٌ معلّبة
تسيرُ متناسقةَ السراب
لا تزيح عن الزيح
لأنها تعيشُ في غفوةِ الغياب
في حضور اليباس.
هذه الكائنات تبدو كالسطور الجميلة
لكنها أسرى اللعبة المكرَّرة
تعاني من أمراض الوحدة والانعزال
من رتابة السياق
وصخب القطيع
ولا تنجو من طغيان العادة
تكرّر أزمنة الحكاية الرتيبة
تتلاعب بها الخيبة
فتخسر لمعانها وعلاماتها المميّزة
تخسر البهجة والاحتفال
وتتقدّم في خطٍّ مستقيم
نحو بحيرة الحيرة
لأنها لا تعرف ينابيع الألوان
ومطارح الشموس.

المكسيك

يومٌ من شعرٍ، أبدٌ من وجود

م. علاء الدين عبد المولى

للشّعرِ يومٌ في حديقتهِ
سيلبسُ فيه شمساً غضةً
هل سوف ينتظر القرنفلَ؟
أم مرورَ الأرضِ بين يديهِ تُقرِئه السّلامْ
من سحره لمعتْ خواتمُ ذكرياتٍ
واحتسى قبل الخروجِ نبيذَ عذراءٍ
تربّي بين نهديها الحمَامْ
يا صمتَه
أغضى قليلاً عن نشازِ عابرٍ
ونأى بكلّ حواسه عما يثيرُ الرّوح
عما يقذفُ الإيقاعَ في بئر الحطامْ
وتعمّدَ التّحديقَ في اللاّشيء وانتبذَ الكلامْ
مستسلماً لحديقةٍ أخرى ستنمو داخلَهْ
يرتادها نسلٌ خفيّ من إناثِ الرّيح
يرقصُ " زوربا " فيها
يؤجّلُ موته اليوميّ، يكسرُ جرّةَ الأقدارِ
يدفع بالجنونِ إلى أقاصيه
يدٌ: بحرٌ
يدٌ: سفنٌ
أصابعُ للتّموّجِ مخملاً
وأصابعٌ نصبتْ شِراكاً للغيومِ الرّاحلهْ
عين تشعشع مثل لؤلؤةٍ
وعينٌ روحُ جنّيٍّ تحلّ بها
وعين لا تُرَى، متآكلةْ
للشعرِ "زورباهُ" إذاً
فالعبْ بهذا الكونِ يا ضلّيلُ
لا تملأْ جبينكَ بالنجومِ المطفأةْ

اليوم يومُكَ، فارتكبْ كلّ المدائحِ في انبهارِ السيّداتِ
ودرْ على أحياءِ قلبكَ،
سمِّ كل الساحراتْ
من بيتِ أشباحِ الطّفولةِ،
وانتهاءً بانفلاتِ القمقمِ الشبقيّ من عينيكَ...
هلْ سمّيتَ أم أخفيتَ؟
إنّ الشّعرَ أكبرُ من صدى متجوّلٍ بين الصّخورْ
من زهرةٍ يأتي، ومن عشبٍ نما بين القبورْ
من شجْرةِ التينِ القديمةِ
من تسلُّقِها لتبحثَ عن حليبِ التّينِ
كنتَ تظنّه فيها، ولمّا استُنزفَتْ
فوجئتَ بالأنثى وراءكَ تنحني
ويشقُّ نهداها الضّحى الورديّ،
تـأذنُ بالعبورْ
فانعمْ بأنوارِ النّبيّ...
فلستَ أولَ من يباغته بياضُ النّهدِ في هذا الحضورْ
.....
والشّعرُ يأتي من سقوطِ التّوتِ في أرض المساءِ
إذ كنتَ تسترقُ الوميضَ من الثّقوبِ
تسيلُ أصواتُ النّساء على الحجارةِ
والرّجالُ يغادرونَ إلى الصّلاةِ
وأنتَ ترفَعُ مرّةً أخرى على توتٍ عتيقٍ
كاشفاً – من فوقُ – سفحَ القلعةِ الممتدّ
حتى ذكرياتِ الأمّ عن جيشٍ يصيدُ العابرينْ
الشّعرُ يهربُ من رصاصِ القنصِ
ملتجئاً إلى الصّمت المجنّحِ في الأزقةِ
أو بيوتِ المنشدينْ
الشّعرُ يلبسُ جبّة الشّيخِ الجليلِ
مساءَ يبدأُ طقسُ (زاويةِ الخميسِ)
أكنتَ تنشدُ مثلهم
لينزّ عطرٌ من عروقِكَ يا فتى؟

داروا كقنطرتينِ تتّحدانِ
ثمّ تباعدوا عفواً وعادوا،
كلّ عبدٍ موجةٌ كسرتْ عقالَ البحرِ
وانفلتتْ لتبحثَ عن معلّمها...
تواجدَ عارفونَ متيّمونَ
وأحكموا إيقاعَ دورتهم وغابوا في بساطٍ
طارَ في شطحِ الجنونْ
ما عدتَ تبصرُ أينَ أقدامُ الهواءِ
وكيفَ تنخطفُ البصائرُ والعيونْ
سكروا بنجوى اللهِ واشتعلوا
هم الفقراءُ والمستوحشونْ
ظلّ الفتى متربّصاً
يحصي كلاماً كان يسقطُ من أكفّ المنتشينْ
كان الكلامُ معسّلاً
هل كانَ من توتٍ وتينْ؟
هل كان ذِكراً للإلهِ فقط؟
أما كانت لهم أسرارُهم
حتّى يفيضَ الدّمعُ من أدنى أصابعهم
أكانوا يطلبون الخمرَ في عليانِ نشوتهم
رأيتُ رؤوسهم أقمارَ رقصٍ في البياضْ
وعمائمُ ابتلّت بماءِ الياسمينْ
هل كان ذِكراً ما جرى
أم رقصةَ الرّوح السّجينْ؟
والشّعر رقصٌ يا فتى
فأثرْ به خصرَ السّحابِ
بسهرةِ استحضارِ جنّيّ السّرورِ
أقم له نذُراً
تلمّسْ وقْعَه في لذّة المحرابِ
واقطفْه إذا ضاءت ثريّا مسجدٍ
أذّنتَ فيه ذات فجرٍ للصّلاةْ
فرأيتَ روحَ أبيكَ يبكي صبوةً

ثم انتبهتَ لأنه يبكي على غسقِ الحياةْ
.....
والشّعرُ أنفاسُ الورودِ
تضيقُ في عنقِ الزّجاجةِ
كنتَ طفلاً عندما واراكَ أهلكَ في الظّلامْ
أيقظتَهم: "سأموتُ من ضـيقِ النفَسْ"
...في الصّدرِ قلبٌ واهمٌ أنّ الفضاءَ على مقاسِ جموحه
ويودّ من لهب الإلهِ ولو قبسْ
في الصّدرِ – من جذرِ الطفولةِ – كهفُ أصداءٍ
طبولٌ نازفات في احتفالات الغجرْ
الرّيح تعدو كالوحوشِ وراء صدري
وهي تقذف خلفها قلباً نحيلاً
قلْ كأن البحرَ فيه يُحتضرْ
ضِيق على ضِيقٍ
وما كانت تريقُ الرّوح فوق الجمر أنثى،
لم تكن بغدادُ حنظل حلمنا
والشّاعر المغدور لم يكبر به التابوت بعدُ
ولم تكن جدّاتنا يحكين من لغة الشّآمْ
غير القرنفلِ مائلاً بدلاله وشذاهُ
نحو المرأة الأولى وقد دخلت إلى الحمّام
مثل خرافة بيضاءَ، تنعس في عبير الدفءِ
تطلق شَعرها مُرخى على ظَهْر الغمامْ
كم مرّةٍ أفرغتَ أجرانَ النّساءِ من العطورِ
وقد مضين مجلبباتٍ بالسّوادِ
وتحته عسلٌ تجسّد واستقامْ؟
وصنعتَ من آثارهنّ حريرَ مروحةٍ لصيفِ النّار في جنبيكَ
حين تقلّد الأزواجَ في عرسٍ/ منامْ
ما سرّ هذا الضّيقِ؟
هل عاينتَ منذ البدءِ هذا المشهدَ الدّمويّ
في فصلِ الختامْ؟
الآن يستند الصّبيّ إلى قصيدته

يحاول جعلها فصحَ القيامةِ
وهو يؤمن أنّه لم يستطع بعدُ القيامْ

.....

الشّعرُ من ليلٍ صحا لتطوفَ أسئلةُ المغنّي بين أبوابِ الشّتاءِ
ورحلةِ الصّيفِ العقيمْ
وهو الدّخولُ الحرّ فيما ليس يشبهه
يعتّقه الحديثُ، وقد يحدّثه القديمْ
لكنه ضدّ الصّراط المستقيمْ
والشّعر بعضُ تهكّمٍ في حضرةِ السّلطانِ
بعضُ تهدّمٍ في لحظة البنيانِ
كلّـيٌّ إذا سلّمتَه أمرَ الفصولْ
وقواه أخفى من كلامِ الأرضِ في أرواحها السّفلى
يقولُ ولا يقولْ
وكأنه قيّومُ أسرارِ الوجودِ فلا يحولُ ولا يزولْ

.....

للشّعرِ يومٌ...
سوف ينتعل الرّبيع ويعتلي عرش الرحيقِ
له طقوسٌ لا تُحَدّ، له نفوسٌ لا تُعَدّ
فكيفَ أُظهِره وفيه باطنٌ؟
أو كيف أُبطِنه وفيه ظاهرُ؟
فلتشهدوا ماذا يقولُ الشاعرُ:
للشعرِ يومٌ آخرُ
للشعرِ يومٌ آخرُ

2000-3-13

سبع قصائد
آيات صادق

1
ما يبحث عنه الكرديّ
هو كرديّ آخر.
في كل بقاع العالم
سيعيش باحثاً
في الوجوه
في الموسيقا
في حركة الشفاه
وارتباك العيون
وجسارة المواقف
عن مرآته الضائعة

..
باحثاً عن رائحة التفاح
والموت الشبح
والرقص الواثق

..
باحثاً عن شهداء
بين العشب
باحثاً عن علم حاضر كالشمس

..
باحثاً عن حنة من كل أجزائه الأربعة
ليلتصق التاريخ بيد النساء

..
باحثاً عن الله في أديان مزركشة

..
باحثاً عن النار في مخاض الليل

..
يعيش ويموت باحثاً عن نفسه.

2
سيدفنون الشعر في الشمال
سيدفنون المنفيّ في المنفى
ستبكي الاشجار والقطط
سيبكي الغراب والأصدقاء
عندما يعود الكهرمان إلى موطنه
ستدق أجراس الحنين
وينسكب النبيذ من فناجين القهوة
ستسقط لوحات وصور ومعلقات
والنوافذ ستكون مفتوحة لتحلق
عندما يعود الياقوت النقي
الى عامودا
سيزين بيت الشعر بالدموع والالق
ستغني الأمهات باللغة الكردية
لحن وداعك
عندما تعود إلى كل المدن
التي وطئتها قدمك
سيصمت الغرباء
ويعم صخب جنونك
ويدق المطر بصوته اسمك على الطرقات
ويبحث عنك التائهون
سيلتفون حول هالتك
ليتعلموا حب الحياة
أنت الذي ألقيت لنا النكتة الأكبر
واحتفظت بها في آخر مشهد
أتدري؟
يا لها من دعابة قاتلة!
"وليس شكراً"
3
عيون السماء حمراء والمطر يهطل من أفق غضبها على أبنائها
على لحظات اللقاء الدموية

على نظرات العشاق الوردية
على هذه الأرض القذرة كقدر طعام للمساجين
النقية كدموع اليتامى
ماذا تبقى لنا؟
لا أرض ولا عشق ولا دماء
لم يبق سوى التراب الجاف كصوت الجرحى
وحده التراب، غطانا ونحن موتى
ونحن أحياء أو "شبه أحياء"
غطى جرائمنا الطازجة
غطى مدننا، ولون مائنا
وحده التراب أحرق عيون السماء،
فأصبحت حمراء
وهطل على حزننا دماء.
4
اجعل القمر يدخل علينا
ليغسل قلوبنا بالفضة
وينتقم من غياب الشمس في النهار
حيث منزلنا غارق في العشوائيات
وخائف من الخطوط الأولى للشفق
وحدها العصافير رُسلٌ مخلصة
تزورنا وتوقظنا، تنقر على شباكنا
أناشيد حريتها..
اجعل القمر ينام معنا
فالكلاب تنبح على ظلها في منتصف الليل
تنبح على المرايا السوداء حولها
والنجوم تظهر وراء القضبان الحديدية
كأقراط سماوية تلبسها سيدة السماء،
هي وجه امرأة لا ملامح لها
المرأة التي أحبها كل رجل بينه وبين قلبه
وحدها النجوم تحتفي بقربها من أذنيها
الطويلتين كمذنب يسقط من حافة الكون.

5
أنت الحياد الخجول
انتشلني من مستنقع الأحكام.
،
أمسك بما تبقى من كياني
فقد تلاشيت في رحلة بحثي عن نفسي
،
غيابك أيقظني
غيابك معلمي
،
أضعت كل ما أملك
كل الألوان السعيدة
ولا أشعر بشيء
سوى أنني الضياع ذاته
الآن بقيت في مكاني
مثل دمشق
على قدم واحدة
احمل كل هذا العبء
وانثر فرحي على الحزانى
وأبقى أنا
المادة الخام للحزن..
6
أعِد لي أصابعي المكسورة كعينيك
بابلو صديقي الكهل
أعِد لي يديك كي أعيد رسمك من جديد
وأخلقك كما أشاء ..كما تشاء
لقد كنت الشمعة الأخيرة في الربيع
هل منحتك الرياح فقط؟
وانطفأت، كما لم تكن يوماً ناراً ملتهبة!
أحببت يديك الرشيقتين كالسهم
الناعمتين كالألوان

الحادتين كأوتار الكمان
لم تعد ترسم
لم تعد تعزف
لم تعد تكتب
لم تعد ترى
لم تعد معي، مع فرانسوا جيلوت الصغيرة
التي خفت منها
كخوفك من الوحدة والصمت قبل النوم
لم تعد هنا بابلو، يا حبيبي العجوز
ماذا ستسمي لوحتك القادمة، كتابك القادم،
من وحي سقوطك
من وحي خسارتك الأخيرة
أيها الخاسر الكبير
مددت يدي لخيباتك الدفينة
أنقذتك من موت قلمك
وها أنت ذا تمنحني الغياب
وحفنة ذكريات كالتراب
والحنين، الذي يعانق دموعي الدافئة
كغرفتي المتكورة حول حزنها..
إلى اللقاء إذن.. في حياة أخرى
في عالم آخر
حيث عيناك أقل انكساراً..

7

أنا شاتاي العاقّ يا امي
شاتاي الذي لا يعرفه أحد سوانا
الذي أحببته رغم عيوبه
رغم تمرده
وشعره
وجنونه
وتأملته على التلفاز وقلت إنه يشبهك
وأنا أضحك وتشتمينني

ثم تضحكين على ضحكتي
وتتورد وجنتاك كـزهرة شلير
حمراء وحزينة ورأسها متجه نحو الأسفل
كأنما تنظر إلى أطفالها اليتامى
نحن الكُرد يتامى يا شلير
ونولد على الجبال تحت مرآكِ
نستقي من ظلك حُسُناً فأحبنا العرب وباقي الأمم
نستقي من حزنك قضية نخبئها تحت جفون الليل
أمي شيلر الزهرة التي لا تولد إلا في أعالي الجبال
التي تتحمل أقسى ظروف الحياة
وما زالت تتورد وتورث أبناءها الجمال

- **أربيل**

أوكرانيا
لقمان محمود

-1-

هذا الظلام، لا يخص الليل.
وهذه الطعنة، لا تنتظر أحداً.
الآن، وبعد أن تفرّقتِ الشعوب
وتناسل الضباب خلف العتمة
عاد الفزع يغمر الأنحاء من جديد
عاد ثقيلاً وأعْمى
بحيث لا تُجدي نفعاً لا الشجاعة ولا السلاح.

-2-

هناك، يسيرُ النهار
على أطرافِ أصابِعه
لئلا يوقظَ الليل.
هناك، الحياة ليست سهلة أبداً
وهذا السلام الخائف
ينتظر حلاً سحرياً للحرب.

-3-

ضبابٌ يحجبُ كلَّ شيء
ومع ذلك،
يمكن للموت فقط
رؤية كل شيء
بحيث لا يصدق أحد
بأنه نجا.

-4-

جراحٌ عميقة في رأس هذا العصر
فإذا فقدنا الحرية لن يبقى لنا شيء.
لقد فتحوا بابَ الخوف،
وبابَ التهجير،
مثلما فتحوا بابَ القتل.
قلتُ لدلشا: أحبُّ أوكرانيا
والأعداء لابدّ أن يتغيّروا.

- (شاعر كردي - سوري مقيم في السويد)

حفيف الغابة
محمد فاهي

-1-
في صوت الطائر غابة
تظهر
وتختفي

-2-
ح
ط
ب
صوت الغابة
قريب.

-3-
الغويبة التي كانت
الشجرة بعد الأخرى
تفرد أجنحتها
وترحل.

-4-
أياد حديدية
تهش على الأشجار
"اذهبي بعيدا"

-5-
أعواد السدر اليابسة
تلك التي تسور(الخيمة)
في الشتاء

تزهر بطيور الحسون.

-6-
شجرة الكاليبتوس
من فوق السور
تمد ذراعها
قريبا
سأمد لها يدي.

-7-
الشحرور
يسقي روحي
من ذاكرة الماء
والشجر.

-8-
النعناع البري
في الصباح يلعق الندى
ما تبقى من الوقت
يداري الخجل
في تراب الحوض.

-9-
الدوري يقول للطيور
تقدمي
والبسي لباس الكفاف الرمادي
الأشجار قليلة
والرزق على الأبواب.

-10-
السنابل

ذات الشعر الأسود
قريبا
ستتعرى
في حوض البيدر.

-11-
شقائق النعمان
غاضبة
تقود رتل الأزهار البرية
إلى قوس قزح
لقد فضحها في السماء
وعرّاها.

-12-
تحت ظل الأب العتيد
قالت الزيتونة:
ألم يعد الأولاد بعد
من الرحيل البعيد؟

-13-
شجرة التوت والرمان
تنضوان أوراقهما الصفراء
معا
ستغوصان في زرقة السماء.

-14-
عش الحسون
آه يا قماط أحلامي
في حضن الزيتونة.
-15-

نخلتان
على جدائلهما طيور
وذكريات
وفي عمق التراب
تحت الجذور
تنبت
أنياب من الإسمنت.

قصيدتان
ليال أحمد

1 – أسئلة

هَذا هوَ وَطني إذاً
وهذا ما حلمنا بهِ، وغنّينا لهُ
وصرختُ بوجه الكون
وطني بريءٌ منك
فصبَّ حنقَهُ في وجهي
وأدخل الموج في فمي
لأبتلع لساني وأصمت
فلا حقيقة لتُكشَف
ولا أجوبةً لتُسأَل
وحين تعشَّبت خيوطُ الأمل بين رِمشَي
ما كان لي سوى جَزّها
وهشَّمتُ حنجرتي بعد أن قُلت
إن شُلَّت يدايَ فصوتيَ حاضر
فحاصَرَتها السَّكاكينُ ذاتُها
الّتي غُرزَت بِخاصِرَةِ كُلّ امرأةٍ رَقصت في وَجهِ الحَرب
وكلّ امرأة تناثَرت منها أصداءُ خُلفائِها
وحينَ لم يتَّسِع الفضاءُ لطيرٍ جَديد
أو أجنحةٍ تبوح بما لا نتجرَّأ على لفظِه
"كالحريّة"
صار فُتاتُ الخُبزِ من نَصيبنا
ليكون حصادَ اليوم.. والغد
لمن أضاعوا العُمر على أبواب السّفارات
لمن تسوَّلوا حتّى اهترأت أيديهم
فاحترقت بلهيبِ البلاد
ولِي..
لقِصاص الله على دماءٍ تلوَّثَ جلدي فيها بلا ذنبٍ
لانتمائي، لوُجوديَ الذي لم أُشارِك في صُنعهِ

ولو خُيّرت ما كُنتُ لأفعل
ولألفِ طفلٍ آخر
واسأل..
ألهذا يذبَلُ اللهُ في أعينِ الفُقراء؟
ألهذا تسدّ البِحارُ حُدودَها ؟
أما كان لأعقابِ السَّجائِر أن تَنطُقَ
بما ابتلعته شفاهُنا المُرتجِفةُ مع الدُخان؟
ألم يكن للصلوات أن تصِل
قبل أن تُغلَقَ بوّاباتُ السّماء
قبل أن تموتَ روحُ اللهِ في صَلواتِنا؟
قبل انسلاخنا عمّا تبقّى من إنسانيَّتِنا
أما كان للموتِ أن يُذبَح
على مقصلةِ المدينة
ويَترُكَ لنا الحياة؟

2- عبث

كنتُ أخافُ دائماً من الصُراخ في الاتجاه الخطأ
حيثُ تُردُّ جميعُ آهاتِكَ بصفعة
فاعتدت ابتلاع الشّهقات وإخفاءها كما يتخفّى المُجرِمُون
لينكمِش الصّخرُ المُتكدّس فوقَ صدري
لتُطفئ الحرائِقُ المُشتعِلةُ من تشعُبِ أغصان العُمر على خطوط جبهتي
كان على دمعةٍ واحدةٍ أن تنسابَ من حِبال المشنقة
لكنّها تعجزُ عن اجتياز مُقلَتي
تهرُب بعد أن تلتمسَ حضورَ المِقصلة
وعلمت حينها، أنَّ لا وقتَ للبُكاء
لا وقتَ للحياة
هُنا.. الوقتُ مكرّس لترصُفَ الحجارةَ تحت قدمَيك
وتأخذها بالاتجاه الصحيح، حيثُ ينتظِرُك شبحُ الموت
أليس امتيازا؟
لماذا لا نقومُ بهِ بطاقةٍ أكبر؟
لماذا لا نكون أكثر حماساً لتُحيك وجهَ الآخِرة؟

لا أفكر في اتجاه الصُراخ
لا أهتمُّ بما سيحمِلهُ لي الصدى
لا أفكّر بخوفٍ جديدٍ
أصرخُ للداخل
لديَّ الكثيرُ من المسؤوليات.. مُبالاتي معدومة
يبدو الجوُّ جميلاً اليوم، والشمسُ رائعة
ولكن ما النفع؟
لا يد تُمدُّ من أشعتها لتُناوِلني الخلاص
ولا قدرةَ لِشُعاعٍ آخر بأن يمدَّني بالحياة
ولا آخر يَقتحِمُ قَلبي فيُضيئُه
إنّني فقط.. مُتعبةٌ من السير في طريقٍ
كلّما لهثتَ أكثر، وشعرتَ أنّك تجاوزتَ الكثير من المطبّات
كّلما بذلتَ من روحِكَ أكثر..
استدرت لتَشعُر بلذّة الخُطى المبذولة على الطريق
ومُتلفهاً للذّة أكبر وأعمق.. لذّة الوصول
تنظِرُ للأمامِ مُجدّداً
فيتلاشى شريطُ أحلامك
لأن الطّريق تضاعف طولُه
ما زلتَ تجري خلفهُ، لكنّه يهربُ من قدميك
لا أستطيعُ أن أرى الحياة إلّا بهذا الشكل
مهزلة
عبثٌ يتفاقمُ في خُطى أيّ طريقٍ أسلكُه
ضربٍ من سُخريةِ الآلِهة
وأنا .. دُميتُهم المُتحركة
المُقيّدةُ بخيوطٍ يكادُ يأكُلها الصدأ
لذلك، كان كلُّ شيءٍ يؤولُ
لينقطع.. خيطاً وراءَ خَيط..

سوريا

ملفّ عن الشاعر الراحل
محمد عفيف الحسيني 1957-2022
1- قصائد للشاعر محمد عفيف الحسيني [1]

يقول الشاعر في موقع **إيلاف** الالكتروني:

((ولدتُ عام 1957 في عامودا، الجزيرة/سوريا؛ عشتُ في بيئة دينية وأدبية، ومنها اكتسبت كآبة الحياة. درَستُ اللغة العربية في جامعة حلب: منهاج سقيم، وشهادة لم أستفد منها بشيء، بسبب الرقابات الأمنية، ولا أعرف أين صارت الشهادة؛ فحملتُ متاعي اللغوي والخيال إلى السويد منذ عام 1989. حيث أقيم في غوتنبورغ، ويبدو اقامة أبدية!
في سوريا، أقدمتُ مع الشاعرين محمد نور الحسيني وزردشت محمد، على تدوين كتاب شعري مشترك، لكن، مرة ثانية الرقابة السقيمة منعت من طباعة الكتاب، إلا بشروط حمراء فاجرة. فلم نطبع.
الكتابة بالنسبة لي هي الحياة، أكتب لأنني لاأجيد أي شيء آخر.
وكنتُ أتمنى أن أستطيع الكتابة بالكردية.))

***

الأعمال المطبوعة:

1. قليلاً من رثاء بقية من مجزرة: شعر - بالاشتراك مع أحمد الحسيني (بالكردية) السويد 1990
2. بحيرة من يديكِ: شعر – دار الأزمنة ـ الأردن 1993
3. الرجال: شعر – دار المنفى - السويد 1995
4. جهة الأربعاء: شطحات روائية، دار الأزمنة - الأردن 1997
5. مجاز غوتنبورغ: شعر – وزارة الثقافة - سوريا 1999

---

[1] **إعداد تحرير المجلة**

6. نديم الوعول: شعر – دار المدى – لبنان 2006
7. كولسن: شعر – دار الزمان – ألمانيا 2018
8. بهارات هندو- أوربية – في السيرة – دار هنّ – مصر 2020
9. تحدّث معي قليلا أيها الغريب – الأعمال الشعرية – دار هنّ – مصر 2022

من قصائده:

1. خطوات

توابيت طيبة للزهور..
تدفعها فتات صغيرات
اللواتي بثقة مطلقة وندم
يقطعن الغامض
يتركن على التوابيت أسفهن والحمرة الخفية
تستريح كسترة الشهيد
تفسر دمه ولسانه الجاف
في بقعة حزينة
في سلسلة من خطواته لآخر مرة
وهي تلمع في كردستان
كفتيات صغيرات
وصامتات طيلة التوابيت.

2. كردستان

لحريتكِ البليغة/ لصباحكِ الناقص.. أمضي،
مروياً بالتذكارات،
منجرفاً كجروٍ صغير،
خصباً كالأغاني،
ملتبساً كأسئلة الصغار،

وناشفاً كقرميد،
عندما لا يضرب غروبكِ ساعاتي،
لا تتناثر ثلوجك عليَّ.
أختزل بدائيتي/ مابقي بين يديَّ من ظلال،
من بوصلة لياليكِ
أو اعتذار قصير، مثل أسرار المرأة على زهر،
مثل أقدامكِ الصغيرة والذهبية، تضرب فلاتي،
وكما أموت..
ناقصاً من تموجكِ،
ذاهباً إلى الأسود الأعمى،
لصباحكِ الناقص.. شاحب أنا في منتصف الوردة،
وفي السيوف الميتة للقراصنة.
شفتي جميلة، لايعبرها يقينكِ،
فأزدحم.. أزدحم بالشك،
وأرتعش كثيراً خلف حريتكِ البليغة،
ناقصاً منها رجلا ينزف اسمكِ، أبداً.

3. ولادة

ولدتُ في الريح،
وانحنيتُ كقوس على عينيكِ،
في يدي المدائح، زهور الهندباء، والعطور الحارّة للشيوخ،
قلتُ لكِ أنا قميصكِ الموشّى بالأسف.
هناك رنيني، كالأقداح، يلتقطه المقامرون،
واصطدام جسدكِ برغبتي.
أنا الراعي بناياتي الحنونة،
وفجري المليء بالريح والحليب،
تقدمتُ إليكِ كجندي بغباره ولونه الأخضر كـ "المستنقعات"،
أو الجدات، يعددن لكِ الشاي للراحلين إليكِ،
كنا.. الريحُ وأنتِ والبحيرات الغارقة في ضوئكِ،
ثم ولدتُ في الريحِ،

وانحنيتُ مثل الجندي وغباره الذي
غمر الجدات، وكاسات الشاي،
والمدائح الحزينة لكِ.

4. المراثي

الأولاد في مجاورة المراثي، يدحرجون الأسلاف،
مجدداً خرجوا من الريح،
حزموا أجسادهم بالزمن والساحات الفارغة،
كانوا في الأبنية يتلألؤون،
وعلى الشاطئ يتحولون إلى الرمال والقواقع الميتة
كم مرة نادوا على الأسلاف
حتى يندمل غيابهم
فيعودون بالسعال والقصص.
راح الأولاد والساحات والمراثي
وبقي الحنين.

5. مطر يهمي

يقضي الرجل ساعاته الأخيرة في محطة المترو
نفسها الأرض الحاذقة في الصباح
والرجل بساعاته الحزينة
يهم بشراء ورد من حانوت اليوناني
في مكان ما
داخل المترو
قريباً من القلب
يهمي المطر على الغياب.

6. شجرة

نحن بقاياكِ أيتها الشجرة،
ورقك اليابس على الأرض،
تحفّ بنا الأرجوحة والأجراس منذ زمن بعيد،
ونحن نقتبسكِ كمجد زائل،
وأشخاص بلا مصير.
نحن الذين من برونز،
بأيدٍ منطفئة،
واستراحات الطرق البعيدة.
نحن بقاياكِ أيتها الشجرة،
وظلالكِ الممتدة على صخب المنشار.

7. الرجال بغيومهم الأخيرة، يعبرون "الخابور"

بعد سنين، سنفهم عمرنا أكثر
سنصغي إلى المفاتيح وهي تغلق علينا الأبواب،
صوت أزهار تسقط على توتياء مفاصلنا.
ستغمر غيوم الماضي الشرفاتَ، عندما نجلس تحتها،
نأكل الطحين، ونحتسي الندمَ.
سنفهم أكثر العصا التي نهشّ بها الثمار الحامضة للموت،
ونتساءل بلطف عن اسم اليوم التالي.
شفيفاً نهيئ مواعيد الجَلَبة أسفل أسمائنا،
وبدمعتنا الكبيرة، سنغدو أكثر حناناً على الزوايا،
نميل بأكتافنا،
ونتقوس كالجسور على الألم،
تماماً، عندما نكتم قمصاننا في الخزائن العالية،
نترك أمورنا تجري حزينة،
نتنفس المشاغلَ اليومية
بين سرير النوم، ومخدات دامياناً،

وعلى رفوف شيخوختنا، سننسى أنها بحاجة إلى آخرين غيرنا،
فنترك أمكنتنا شاغرة،
نسحب المقاعدَ إلى العتمة،
بنصف تردد، ونصف نسيان،
بشبح أننا كنا أكثر فتوة،
نقطع الخابورَ،
وعلى ضفتيه، نجفف ماءَ اللذة،
ما رأينا كان كافياً، لنفهم أكثر، ونطوحَ باللعبة،
ثم نصرخ بملء خيباتنا:
ـ آهٍ.. السنوات نفسها واقفة في المحطات،
ونحن أولئك الذين غادروا.
ننزلق على السكك الحديد،
ترتطم أجنحتنا بالخوف،
وفي أماكننا العالية كنّا نتخاطب.
مَنْ يصدّق أن ركبنا مرتجفة،
وحناجرنا مليئة بأصوات الغرباء؟!
نحن الغارقين في ثمار الشراشف
تبقى أعيننا مفتوحةً،
وفي متناول روحنا نطير،
نفهم الوقتَ أكثر مما مضى،
بضربة ماهرة، بأرضٍ كنّا ننتمي إليها،
نهجر المقاعدَ، نميل قليلاً بأعماقنا،
ونسمي الغيومَ بأطياف الأحباب.

8. زي الهوا

زي البرونز، زي الريح
المقاهي وهي تغط في الأخضر، في زي الهوا
رائحة قتيل في الحلم، في الأفعال الناقصة
في شرود المغني، وفي الممرات تذكرتكَ فيها
يا حبيبي.. يا حبيبي.

شُبهة، على الظلام، خريطة تؤدي إليك.
اختصرتُ زي الهوا إلى بريد الجمعة الحزين
إلى هذا الخزف من يدي، ليتحول شجنا وبرتقالاً.
هل كان عبد الحليم يعرف قاضي محمد؟
هل استمع يلماز إلى زي الهوا.. يا حبيبي؟
زي الهوا.. زي الهوا
هذه أغنيتي.. رددِيها، هذي زهوري.. ضعيها
على الزمن الميت
زي الهوا
زي الجنود في اجازاتهم البعيدة
بهداياهم التقليدية ورائحة الأسلحة، وزي الهوا
يحتفظون به في الأسلحة تنام، أو تقتلهم يوم التسريح.
زي الهوا، زي هذا الثلج يهطل وئيداً على
الأسلحة، على اختلاط الليل بالغرباء
على يلماز وهو يراقب سراطن الحنجرة
لحيته الحليقة، رقبته المتورمة قليلا
زي الهواء.. زي البلهارسيا
وتلك الابتسامة الفضية.
زي الهوا حبيبي
زي الكآبة على الموسيقيين
على مخازن الرصاص تُحفظ في الشحم.
السيقان الرفيعة للعصافير
السيقان الرفيعة لشجن عامودا
أنين الأسف من أصابع العاشق
أنينٌ يتصاعد من زي الهوا يا حبيبي
نباهة ثعالب في فخاخها
خذ هواي يا عبدالحليم حافظ إلى قراك
إلى عازف مبتدئ
لوحة ذهب
ورق هذا الخريف في أبريل
قباب الثلاثاء الجميلة

عينان مغمضتان
زي الهوا رمتْها العزلة.. فجفت، يا حبيبي.. يا حبيبي.
*
يتكوم الهواء على كتف كردي
من عامودا إلى أشواق مهاباد.
شيرين رددي زي الهوا.. يا حبيبي
رددي أزرقي إليكِ
من الساعة الثانية عشرة، إلى الساعة الزرقاء
في معصمكَ أيها الغريب.
*
ولدتُ من هواء الأكورديون
واندفعتُ من نفخة الفلوت في زي الهوا.
قميصي الأزرق لكَ يا حبيبي، وشفتي أيضاً
الكمنجات الزرقاء، الحنين الأزرق، وعَلَم مهاباد
ولك أيضا يا حبيبي زي الهوا في سجن منسي
في مكان منسي ولدتُ فيه
فازرقت شفتاي، ازرقّ قميصي، ازرقّ يلماز
في السرطان.. يا حبيبي... يا حبيبي.
*
من زعل في زي الهوا؟
من جعلني حزيناً في الأغنية؟
ومن استغرق في الزمن؟
فغرق بأسلحته
وأغانيه
وشجو المغني في القاعة.
من اخترع الكمنجات.
من أعطاها البرتقال الغامض؟

KARIN BOYE .9

عند تمثال الشاعرة قليلاً،
عند البحر، وعند الغروب قليلاً،
بكيتَ..
إنهم الغرباء، ثلج يسّاقط ويذوب،
كانوا يتحدثون عن بلدانهم الغريبة
و"الزمن المفقود"،
عند قدي الشاعرة البرونزيتين،
عند يديها الحاملتين هواء غوتنبورغ
عند احتفاء شعرها القصير
وتنورتها الصلدة
عند قصائدها القديمة
عند عام 1941، بكيتَ
ثلج ينهمر، غرباء في العزلة
و KARIN BOYE في البياض.

***

الشفتان الشاعريتان
الشعر القصير
الحركة اللدنة من التفاتةٍ
البحة الخفيفة بين الجوانح
القصائد التي من ظلمة النافذة
وشمعة الرومانس
الشفتان الشاعريتان
مستهما شفتاي هذا الصباح.

***

أبراج ستوكهولم
كردي في الريح، امرأة في الريح،
أنْ نلتقي ثانية

في العتمة الخفيفة
وراء ستائر مخرمة بطيور بحرية
شفاه عذبة، مضمومة
تنفرج:
"نعم سنلتقي أيها الكئيب."

***
إلى أين تذهب زهور الشتاء؟
اسم الرقة والموتى، اسم العميان
ـ خذ قلبي، واعطني زهرتكَ.
ـ أخذتُ قلبكِ، وضاعتِ الزهرةُ
في كل شتاء، تختبىء الزهور
في يدي.KARIN BOYE
شاعرة سويدية، ولدت عام 1900، وانتحرت عام 1941.

10. المحارب

يعود المحاربُ من القرن التاسع عشر
يحمل حجراً وفرماناً، عملةً قديمة وزهوراً،
ساحة الملك غوستاف، جنود المشاة، السلالم الحلزونية في أعلى القلعة، الثورة، الجنود، الطائر الذي يقف على الخوذة وينقرها، قَرْعُ أجراس.
يمضي قطار المترو الأخير
ناقص هو الزمن عند المحارب، ناقص هو المكان عندي.
يشيّد الرجلُ أنثاه من حنينه، وأنثاه تشيّده من غفوتها عصر يوم الأحد.
يعود المحارب بمعانيه المتعددة،
قضبان المترو، الأسلاك الشائكة في قطار القرن التاسع عشر.
تحت المصباح الشاحب يقف التلاميذ في "عامودا"، تحت عجلة الزمن الهائلة قططٌ صغيرة تلعب بأذيالها.
من البيت إلى مركز المدينة، عليكَ أن تعلّفَ حصانك جيداً، وتراقب المارة يا غوستاف العجوز.

طويلة منارة الجامع والرنين الذي لم يتوقف للأجراس!
جثة ملفوفة بالزهر أمام المذبح، أو في باحة المنارة،
عند القلعة الغابرة في القرن التاسع عشر.
جثة محارب خضّل نفسه بالحنين، أراد أهله،
كانتِ الأسوارُ عاليةً،
والحكايات معقودة في التراب.
زمنٌ بين يدي، فصوص خواتم فضية، تركيز المنفى على الموسيقيين
في أنفاق المترو.
هناك في الجنوب، يلعب الصِبية بأسمائهم، يدحرجون خوذة المحارب
على التراب، وبأسمالهم الملونة، يخترقون القرن التاسع عشر.
يا غوستاف الأول، استبقِ حصانكَ، فقد مات جندكَ، وسترتك الحربية
تمزقت بالبارود.
يا غوستاف الأول ـ ملك من إسبارطة، من الفايكنغ ـ أو نشيد جاؤوا
به من العيد، زجاجات النبيذ المعتق في الأقبية، السفارة المدهشة
لطيور الهدهد، الملك سليمان، عربات تنقل النساء، تنقل الحاشية من
سيوف وحلقات معدنية، ورخام إلى الأعلى
أعلى ما في القلعة.
أدركْتكَ في النسيج الرقيق لقرنك التاسع عشر.
أدركتك يا غوستاف الأول في الكآبة.
كركي يبني عشه في أعلى المنارة،
من أين أتى بكل هذا النحول؟
حتى تظنه يا غوستاف الأول خيطاً من فكرة
أنيناً يتصاعد من سريرٍ
فتموت.
جثة ملفوفة بعَلَمٍ وشارة ملونة مثل ستوكهولم القديمة.
يا غوستاف الأول
أيها الملك المضرج بكل دمه، مثلي.

11. الأشواق (حوارية)

ـ يا أبي سأغيب في الزهور.
ـ يا بني.. إن غبتَ، فلا تتأخر كثيراً.
ـ يا أبي بارك غيابي.
ـ يا بني أنا سأغيب.
ـ يا بني علم نفسكَ النسيان.
ـ وهل تعلمتَ النسيان، يا أبي؟
ـ أنا النسيان يا بني.
ـ يا أبي متى سأعود؟
ـ يا بني عندما تتذكر أمك.
ـ يا أبي الزهور ذابلة الآن.
ـ إنها الأشواق يا بني.

ملفّ عن الشاعر الراحل محمد عفيف الحسيني
2- لا لن أسامحك يا محمد عفيف الحسيني في رحيلك الأبدي

● إبراهيم محمود

في منتصف المسافة بين الظهر والعصر: الثلاثاء في 24-8/ 2022، وأنا على وشك الاستسلام لسلطان القيلولة الاضطراري بعد دوام جامعي مجهد، فوجئت برنّة واثْسابية، شبه مغمض العينين تمعنت فيها بوهن. جسمي ارتد إلى صحوته المضاعفة، في سؤال سريع بعد التحية من الصديق الكاتب صبحي حديدي من باريس، عما إذا كان نبأ وفاة محمد عفيف صحيحاً أم لا. لا أدري أين حل مقام سلطان النوم. قلت سريعاً مرتبكاً: سأتأكد.. سريعاً، ومضطرباً اتصلت تباعاً بالأصدقاء: ابراهيم يوسف، جان دوست، حسن مجيد، إدريس عمر، حين يبطئ الجواب.. قشعريرة خاصة تملكتني: الخبر...صحيح.. وهكذا أعلمت الصديق صبحي بذلك.. وبدأت بالاستفسار عما جرى من الصديق يوسف.. لقد بقي الراحل الكبير يومين، دون أن يعلَم بأمره أحد.. أو هكذا قيل لي.. أي كان رحيله الأبدي: الأحد في 22-8/ 2022.

فاجأني الخبر، واستغربته، فقد أرسلت اليوم إلى أحد المواقع الالكترونية نصاً مترجماً حول جاك دريدا وكتابه: الحقيقة في الرسم، عبْر" أحذية فان غوخ " وله صلة مباشرة بالحياة والموت، وتداعيات المشهد الفنية، ووجه العلاقة بين إرسال هذا المقال، رغم أنني اشتغلت عليه منذ أشهر ولم أرسله إلا اليوم، وهذا الرحيل الشديد الوطأة بأكثر من معنى، كما يقال!؟

لا لن أسامحك يا محمد عفيف الحسيني الشاعر، الكاتب، غرّيد عامودا الشعري، في هذا التوقيت الثقيل حيث البقاء يومين في ذمة موت لا يعرف سوى قانونه، ومسلَّماً من حياة لا حيلة لها بأمر قانون ما صار ويصير.. ألعلك كنت منغمراً بشهوة نص غرائبي من طراز عامودا الغرائبية وشاهدها شرمولا، وشارعك الشعبي المأهول والمنسوج بحكايات وخيالات لطالما أدمنتَه. أم هل هي لحظة غفلة

ربما ما كنت تعلم أن ثمة نصوصاً لا تنتهي بمقدار ما تنهي مبدعها، لوحات لا تنفد بمقدار ما تُتَرك دون إكمال، ليكون في ذلك التعبير الحي والصادم عن فعل الفن بمبدعه، بفعل النص بفاعل إبداعه، وقد رهنت له روحك الحسينية.
ثقيل هو التفكير فيما سمعتُ وفيما حاولت تخيله، وفيما جاهدت في استرجاعه عن عقود من السنين بيننا. وأنا الذي أتنفس وئيد الروح، رغم استماتة إرادة متبقية، على تخوم عمر نزف الكثير من مضاء المأمول فيه. كما لو أن هاتيك السنين لم تكن شاهدة على جفاء ما، على قسوة قطيعة ما، على ظنون لا أظنها كانت تصمد على وقع ما كان بيننا قبل ذلك، بمقدار ما كانت مشددة على جغرافيا لا خطوط تماس فيها، ولا نقاط تفتيش نفسية، ولا أنفاق نختبئ داخلها ونحن نرصد بعضنا بعضاً. ليس بين قامشلو وعامودا سوى الطريق الرئيس المعبَّأ بالهواء الطلق ووثبات قلوب تعيش وحدة حال، توأمتيْ أرض واحدة، جرح واحد، نفَس واحد، شهقة إبداع واحدة، رحابة حضن واحد، بشهادة ذاكرة المكان المشترك وأبعد: سليم بركات يا محمد عفيف الحسيني نسيب طرافة في الشعر، والخفة في الروح في الصميم.
قطيعة لا أعتقدها فصلت بيننا، إلا إذا اعتبرنا أن طريق عامودا- قامشلو، ومتفرعاته ليس واحداً ميمنة وميسرة. لم يكن هناك يا صديق الكتابة المأخوذة بعالم الجنيات، وأحلام الكراكي، ونبيذ الزهور اليانعة، ووميض أجنحة الفراشات، سوى ما يعلم به أحدنا عن الآخر. ونحن خرّيجو الجرح الواحد، القلق الواحد، المبتغى الواحد، رغم تنوعه الفولكلوري. ونحن منتسبو العمر الواحد، والوجع المشترك الواحد، أكبر من أي نزق حالة، أو كرب لحيظة، وقاماتنا مشدودة إلى بعضها بعضاً. لا أظن أياً منا اضطر على مدار هذه القطيعة المحتسبة إلى أن يخفض رأسه ولو قليلاً، أن يرفع هامته ولو قليلاً، أن يمد يده له ولو قليلاً، أن ينظر ببعض جهد ولو قليلاً، إشعاراً بمكان الآخر ومكانته، حيث الظلان يرتسمان في دفق منشود روحي أبعد من حدود الكوردية الضيقة، والفئوية الضيقة، والشللية الضيقة. لم يكن أي منا بحاجة لأن يسقف على عين له بيده ليرى الآخر كما هو، أو يشنف بأذنيه ليصغي إلى وقار المعنى في حشاشة روح نظيره، تعزيزاً لتلك

الخاصية المؤممة والتي يتكفل بديمومتها خط الأفق الصاعد بنا وبسوانا، بعيداً عن أي مَيل أو كيل جانبي.
أيها الطيوب الناعم بلحيته المشعة ذؤابات ضوء رغم وقدة نهاياتها، أعني الصديق الدقيق الرشيق للمعنى المشتهى، والمختلف، أي محمد عفيف الحسيني.. ليس سراً، ليس تواضعاً مزيفاً، ليس اعترافاً بما هو مخبأ، إن قلت، كنت محمد عفيف الذي رأيتك وكلمتك وشاركك الطعام والشراب، وأطايب القول في براري العناوين الطليقة، وأصداء صمت المكان، في رحاب كتب حملتها مكتبتك الوادعة حينها في عامودا، في غرفتك الطينية التي لم أنس مساحتها الصغير والواسعة بمتنها جداً، وكذلك الحال في بيتنا الطيني. نعم، نحن سلالة الطين والعجين، لهذا صادقتنا النار كثيراً وسريعاً في إنضاج الكثير مما نشدناه من خبز الكلام الآخر، ومشتهى الكتابة الأخرى، ولو أننا كنا في مقتبل عمر فوران روح الكتابة داخلنا.
لا لن أسامحك يا محمد عفيف الحسيني، وقد رحلت أبدياً فجأة، دون أي كلمة، دون التفاتة، دون إيماءة يد شلالية الأثر، دون حركة جانبية شجرية المشهد، تشغل الروح ببعض من أطيافها العميقة. لن أسامحك في رحيلك الثقيل هذا، إلا إذا استرجعت ولو جزءاً من ثانية، تنتمي إلى " وقت ضائع ما " لأسمعك صوت روحي، أنا إبراهيم محمود الذي تعرفه جيداً جداً، كما أعرفك جيداً جداً: لكم أتمنى احتضانك، بصمت طويل، بمقدار سنيّ القطيعة بيننا، وتذرف أختا روحينا: عامودا وقامشلو دمعة فرح تتجمع في مؤق العين، عزاء لمَا كان، ولمن يبكيك الآن، ويرثيك بصوت موحد من أهليك ومحبيك ومعارفك وأهل الإبداع..
هل لروحك المضيافة ذات المدى الجزراوي الطليق أن تسمعني في أدق نبرات صوت وحشرجة روحي: أن تسامحني بعد الذي تقدَّم؟

ملفّ عن الشاعر الراحل محمد عفيف الحسيني
3- محمد عفيف الحسيني: في بهارات هندو أوربية..
النوستالجيا دعامة للتوازن والديمومة!

- **إبراهيم اليوسف**

بعد إرث من سبعة كتب متوزعة في مجالات تنوس بين: الشعر والسرد، وأحدها مشترك مع شاعر آخر، يأتي العمل السردي المعنون بـ **"بهارات هندو- أوربية"** للشاعر الكردي المقيم في السويد **محمد عفيف الحسيني**، والذي صدر عن **دارهنّ -elles** القاهرة 2020 في 514 صفحة من القطع الكبير، وبطباعة جد أنيقة. يهدي الحسيني عمله الجديد إلى أبويه: الشيخ عفيف الحسيني والشيخة بدرية الحسيني. ثم يشير في استهلالة الكتاب إلى أن نصوصه كتبت على مدار عشر سنوات، على أرض: السويد وكردستان. ثمة إضاءة أولى يفتتح به الحسيني عمل السردي هذا وهو"أنا سليل شرفخان بدليسي. وسليل جيل شعري ضائع"، إلا أنه في الصفحة الأولى من الكتاب يعرف نفسه، على نحو أوضح، وأقرب إلى بطاقته الشخصية، بل وبعيداً عنها، أيضاً، قائلاً: "محمد عفيف الحسيني. مواليد عامودا 1957، والنزيف منها عام 1987 إلى السويد.

مزيج من الهجرة والفقدان: مزيج الدين القديم والشعر الحديث: أشعر أحياناً بأنني الابن الوحيد للسيد الكبير" شرفخان بدليسي" وحيناً الأب الصغير للشعرالكردي". ويتابع قائلاً: "أنتمي إلى جيل شعري ضائع: كتبنا بالعربية عن قيامة الكرد. وبقيت روحي دائماً، تلتفت لأن أستطيع الكتابة بلغتي. لكن، لم أفعل حتى الآن، لأنني أخاف أن تأخذني اللغة الكردية إلى تخوم لا أجيدها. بدأت الكتابة. منذ حوالي العقدين، ووجدت أن الكتابة بالنسبة لي، هي المنقذ من ضلالة التعريب. والحياة. القسوة لأهل عامودا". ثم يتباهى بمنجزه، ولسان

حاله "لم أكتب لأحد اسمي في قدر الركاكة السريعة، كتبت لأعرف نفسي أولاً، ولأعرف معنى بسيطاً، لسؤال بسيط: في أي مكان سأفرش لضيوفي، ضيوف القدر، ما أظنه الجدير بالكتابة؟"
ولأن البجكتور الاستهلالي، في مقدمة العمارة التي أشادها الشاعر الحسيني جد مهمة، لتأخذ بيدي القارئ، إلى مداخلها، ودواخلها، ولتعطي مفاتيح –أكثر- لمقاربة عوالم هذا العمل السردي الذي ارتآه سيرة. سيرة مختلفة، عن السير التقليدية المألوفة، كما يريد، شكلاً ولغة وعوالم، فإنه لا غنى البتة عن متابعة أطراف هذه الإضاءة التمهيدية التي تمتد حوالي أربع صفحات، يضع خلالها مداميك شخصيته عبر لبنات اللغة التي يشاء أن يستخدمها على نحو خاص، كما كان يفعل في قصيدته منذ بداياته الشعرية، وليس أدل على هذا الكلام من أنه سمى الهجرة نزيفاً- في مفهوم انزياحي- وإن كانت هذه المفردة/ المصطلح، معروفة، في عالم الفكر، والبحوث، إلا إن توظيفها هنا جاء، ليمنح شهادة تعريفه بذاته بعداً آخر، كما ارتآه.
ومما جاء في هذه الإضاءة من ألوان:
"ولدت في بيئة خليطة من أعراق الكتابة والدين والذاكرة للغات. وجدت نفسي ملموماً بين شيئين: الكتب والفقر: الكتب هي التوابل اليومية للذاكرة، والفقر هو توابل الطفولة الشقية التي منعتنا من الإحساس الباذخ بمعنى هذه الكتب. أينما انتقلت من منازل الأهلين، كانت الكتب هي التي تفور من الجدران: الكتب التي كان الفانتازي الأرجنتيني" بورخيس" يتحدث عنها، وهو في عماه البصير، الولادة، ثم الحبو، ثم أن تجد نفسك، فجأة في حضرة الأقطاب: الملا جزيري. المتنبي" الفاشي العربي الكلاسيكي" ابن الفارض. المتون التي لا تنتهي لكتب تدون السيرة الأليمة للكتابة. في الوسط الذي عجت به الكتب، وعلى مبعدة القليل ديار بكر". ثم يواصل الحديث عن مهاد العائلة في- آمد- والشيخ بافي كال، والجد الشيخ محمدي موزا- الذي لم يقبل بأموال الدنيا، شأن كبار المتصوفة ورجال الدين ممن رأوا أو لما يزل بعضهم يرى في المال- وسخ الأيدي- ولابد من التطهر منها، والعيش على الكفاف، ومن دون أن ينسى ريق كتب الجد في طوشا عامودا، أو حريق عامودا في العام 1936، ولا يفتأ يتحدث عن بيت العائلة، بعد أن توزع أبناء الشيخ

الكبير، ليكون والده العلامة المعروف أميناً على ثروة العائلة، وهي: كنوز الأرض وما تبقى من الكتب وسيرة الأجداد، من دون أن ينسى التصريح بالحديث عن شغبه الذي بدأ مع أول طفولته" كنا نحفر أرض الحوش، لنخفي فيها مواردنا الطفولية الممنوعة: صور الممثلات والدحاحل، والشجن الطفولي المراهق. نحفر مقدار شبرين، فتخرج مقدار شبرين من مصكوكات جدي الحريق. الكتب. الأغلفة الجلدية المزينة. الأوراق. ليس من أوراق، بل الصحائف الحريق. أرسلت لي الأقدار الأرضية، بيئة، ربما لم أكن أريد أن أكون فيها، كنت أريد أن أكون نجارا، وليس كاتبا: لكن الأقدار في العائلة، جعلت من مسار منشاري وقلمي الرصاص العريض، المركون على أذني اليسرى" ص 12، ثم يشير بجرأة إلى حالة الفقر التي عاشها، في بداياته تلك، لاسيما أنه أهمل- النجارة- وعمل في عالم الكتب، شأن كل من كان خياره على هذا النحو، ليدفع الضريبة الكبرى. إنها الضريبة التي اختارها من قبله جدوده، ومن ثم أبوه، العالم الشهير، في أربع جهات مكانه!

لا ينسى الحسيني مهاده الأول: عامودا. مربع طفولته وصباه فتوته وشبابه، وحبه الأول، وأول أبجدية القراءة، بل أول لثغات الحبر، والحبو، ودائرة المجايلين، ومحطة المغامرات الأولى، وهو يخرج الاسم بعيدا عن ظلال شجرة الجدود، باتجاه فضاءات أخرى: المدينة القريبة" قامشلي" أو"حلب" حيث عنوان دراسته، ومن ثم- مملكة السويد" التي لاذ بها بعد أن ضنَّت سجلات قبول المدرسين باسمه- وهو العارف بشؤون عجائن اللغة التي جذبته- وأبعد عن تدابير تلقين الأجيال بما لديه من أصداء أسرار لها، التقطها منذ أول دوي اسم جده، فأنفاس أبيه- معلمه الأول- ومن ثم مدارس عامودا التي تمردت على كتاتيبها الأولى، قبل أن تنحو بعيداً عما يليق بها من مصائر ومسارات" أريد أن أعرف الظاهر من الوجود، أريد أن أعرف كيف سأبدأ بحياة تلك الحجرة القديمة، التي انذهلت فيها، وشردت فيها، وأنا أسمع رخامة الأصوات الكردية، بدفوفها. دفوف الشجن والريحان والتصوف والتأويل والذبح والوله والجفاف المتراكم على جلود المغنين. العازفين الفقهاء الشدو. في حجرة الشيخ، لم أبحث عن أي شيء. ولم أفقد فيها أي شيء، لكنني فقدتها أبداً: يقينا هي مثل كتبي

القديمة. كتب الحياة. ستظل بأثرها الكتوم تدون معي، ما أريد نقله من الحياة إلى الكتابة، ومن الكتابة إلى الحلم. ومن الحنين إلى المنفى."
وباعتبار المنفى جزءاً من سيرة الشاعر الحسيني، فهو يتناول تفاصيل هذه المحطة الجديدة التي أبعدته عن مسرح الجدود القريب، في براري عامودا، المتواشجة، مع مسرح آخر، غير بعيد في ذاكرة أرومة الشجرة، موزعة الفروع، وما أشبه منفى اللحظة. منفى الحفيد بمنفى الجد والأب، لنكون أمام سلسلة مناف في السيرة، أحدها أقسى من الآخر، بل إن أحدثها أكثر دحرجة لمصائر البنين في أغوار محو الملامح، وإن كان الشاعر يتشبث بكرديته، في حدود خطوط ظلالها، أثراً أثراً، بعيداً عن الغوص في معجم لغتها، شأن جيل، بل أجيال متتالية، ما يدعه ليرى في المنفى سليل المحو، لاسيما في دركه الجديد، وهو يستشعر مدى هول ما هو خارج قبضة يده، من زمن لم يفتح ممراته بعد:
"أنا منفي عن تلك الحجرة: الوقت، البعث، البطالة، النزيف من الحجرة إلى حضرة أصحاب العيون الشقر الجميلين الرائعين الخجولين "السويديين" الذين جعلوا حياتي أكثر متعة في الكتابة والحياة والحنين أيضاً إلى بواطن الحياة في عامودا القديمة". ثمة نوستالجيا تدفع به دفعاً إلى الأمكنة الأولى، وما كتابته لعمل مشترك مع" أحمد الحسيني"، كما يقول، هو بالعربية وشريكه: ابن العم، بالكردية، إلا لأنهما يتقاسمان: الواقع، في لحظته. كل يكمل الآخر، في رؤى، أو جماليات، أو تقنيات، معرجاً على كيفية اعتصاره روح النص، ليقدم لنا ذاته: الناقد. ناقد الذات. ناقد التجربة الذي لم يقبل الاستسهال، وأتلف الكثير، وأبان القليل. أبان العصارة التي رآها مستوفية ما في مخيلته من شروط لنص شعري يمثل كل منهما الآخر، وكأني به يقول ما معناه: لكل شاعر قصيدتان، أو قصائد، واحدة منها، أو أكثر بقليل، نتاج اشتغال ذاته في تجليها الإبداعي، وثمة ما ينبغي إتلافه، ليلحق بمحرقة كتب الجد في عامواه!
عود على بدء:
بعد انتهائي من قراءة هذا السفر الكتابي، مترامي الأطراف- لغة ولوحات- وجدت أنه لا يمكن لأي مقال أن يحيط به، من جهة شساعة محيطاته، وما يتوارى وراء ملامحها، لأن الكاتب وفق في تسمية

الشريط اللغوي لكتابه بـ " بهارات" وإن كانت صفتها- موطنها "هند أوربية"، ليعيد النص إلى المكان، منطلقاً من التفاصيل التي تشكل أعمدة الهرم النصوصي، باعتبار الكتاب جمع بين فنون كثيرة، في إطار سيروي، وإن كنا لنجد الزخارف الزراكش والإكسسوارات والفنتازيات التي تظهر ملامح التناص بينها، في حالات كثيرة، بحيث يكون العمود الفِقري، أو الخيط الجامع لخرزات متون الكتاب، بعيداً عن التصاعدية التي أومضت تحت هيمنة الأضواء الافتتاحية- كما أسميناها- لتتناثر شذراتها، وخيوطها، وإشعاعاتها، وعتماتها، وظلالها، عبر جغرافيا الكتاب المتناثرة. إنها الكتابة الحرة، التي يمضي الناص في الجهات كلها، قبل أن يفطن إلى تفاصيله السيروية، ولأقل: المذكراتية، وحتى المقالية، بما يكاد يتاخم رواية هو بطلها الرئيس!

من هنا، فإنني ارتأيت، أن أتناول الكتاب، خلال هذه الوقفة. من خلال "مقدمته" من خلال الصفحات الأربع الاستهلالية، من خلال مقاربة عتباته، وإن كنت سأعترف، بأن الاستغراق أمام العتبات، أوفيها، ليتطلبان أصلاً، اللجوء إلى عدة أخرى، قد تتلاغى اشتغالاتها مع هذه: الإضاءة على الإضاءة التي توخيتها، باعتبار الكتاب، ليحتاج إلى قراءات متعددة، متوسعة، تتناول- تجنيسه- لغته- شعريته- سرديته- عوالمه- حضور الذات، وظلال الآباء والجدود، والأمكنة، وحتى الرؤى. بل حتى المواقف السياسية، والتجليات الجمالية، وهوما يستوجب المزيد من الأناة المتوخاة، والمتنافية، مع مهمة العرض التعريفي الذي أردته، في هذا المقام، بعيداً عن أي حكم قيمة، لنص سردي بملامح جغرافية كلها جدير بالتعمق، والموقف النقدي التقويمي الذي هو ليس في الحسبان، هنا.

ملفّ عن الشاعر الراحل محمد عفيف الحسيني
4- "جهة الأربعاء" لـ محمد عفيف الحسيني: إعادة بناء الذاكرة

- **عبدالهادي سعدون**

تقديم

"هذا التقريظ النقدي المبتسر نشرته في شهر مارس من عام 1998 في الصفحة الثقافية لجريد القدس العربي، ولم تكن سوى قراءة أولى لهذا العمل النثري المهم للشاعر الراحل محمد عفيف الحسيني، وكان قد أرسله لي بعد شهرين من صدوره في العاصمة الأردنية عمان عن دار أزمنة التي كان يديرها الراحل الياس فركوح. كتبت هذا النص كتحية محبة، ذلك انني كنت وما أزال مولعاً بالنصوص التي تحتمل القراءات المتعددة والنصوص التي من الصعب تصنيفها ضمن جنس أدبي، وهذا هو حال "**جهة الأربعاء**" التي وصفها كاتبها بالشطحات الروائية، وهو النص الذي يحمل ما يحمله من سمات عديدة تلصقه بالشعر وعوالم الشعر دون أن يخل بشرطه الأساس كعمل نثري وروائي متفرد في وقته. بعد زمن التقيت بمحمد في مدينة يوتوبري في السويد عام 2005، ومن لقائي القصير به ذاك وجدته لا يشبه سوى محمد عفيف الذي وضعته في خيالي، وهو في أغلب الأحيان يتماهى تماماً مع شخوص أعماله الأدبية وروحية شعريته المختلفة المتنافرة والمتصادمة مع ذاتها... هنا النص التالي كما جاء في كتابتي تلك دون زيادة أو نقصان".

***

يبقى للأدب الحكائي، والرواية منه على وجه الخصوص، منبهات صالحة للاستغلال وفق التصور المتاح للعمل، ولعل أهمها هي الخاصية الشعرية المؤسسة للنص والصادمة في آن واحد. والكاتب السوري محمد عفيف الحسيني ينطلق من هذه الفكرة ليعيد بناء ذاكرته المتشظية وإنقاذها من محنة التناثر في الغربة كحال صفحات مخطوطة عامودا، المكان الأصل في روايته "**جهة الأربعاء**"، وهي

كذلك لبناء إرثه الشخصي بسرد تراث الآخرين المتناثر بدوره على صفحات الكتاب.
والرواية المبنية على شطحات التذكر للراوي، تكتسب عناصرها بتلقائية وتذكرنا بأعمال عديدة لم تبن هيكلاً ثابتاً للحدث وإنما اعتمدت ديمومتها من تتابع الصور الموحية في عملية الكتابة. ولعله السبب الحقيقي الذي ألجأ الكاتب لإعطائها عنواناً ثانوياً هو (شطحات روائية)، مكتفياً بمعاملتها بذلك دون تبذير بالأوصاف والمعاني التي من الممكن أن تأخذها صيغة الشطحات هذه وامكانيات تصنيفها النظري.
الرواية تتألف من قسمين هما "كتاب عامودا" وملحقه "كتاب الزهور"، ولعل القسم الثاني جاء تذكيراً لأشياء بدت غائبة أو غامضة على المؤلف (ولا أعني القارئ حتماً). عملٌ مثل هذا ينشد بالدرجة الأساس إعادة تركيب الذات لدى الراوي ومحاولة إعطاء الصفات المحددة للشخصيات التي تزخر بها ذاكرة المخطوط المتداول بين أيادي عديدة قبل أن تصل إلى يده نفسها، ويلجأ إلى كل حيلة ممكنة للحفاظ على أوراقها من التناثر كالغبار بين أضيق زوايا البياض في عامودا أول مدن الغبار، تتبعها مدن أخرى في فتح صفحاتها العديدة التي تتراكم عليها ظلال الطيور.
والراوي في عودته إلى الذات من خلال تواجد الآخرين الذين يعيشون لحظات حيواتهم الماضية ورؤاهم وتهويماتهم. لا يقوم المتذكر بإدخال نفسه في لعبة التكوين، بل يتعدى ذلك إلى لحظات أكثر التصاقاً من خلال الخلط بين شخصه وشخوصاً أخرى مثل "**جكر خوين**" المشابه له في غربته وفي البحث عن جذر لتأسيس عالمه. و"**جكر خوين**" هذه الشخصية الحية المقتولة بالنفي يتبناها الراوي كرمز محتمل لكل مغترب عن وطنه قسراً، وحتى نكتشف ذلك، ستتماهى الشخصيتان إلى أبعد حد ممكن بحيث لا نستطيع تمييز إحداها عن الأخرى. تماماً مثلما لا نستطيع استدراك ذلك الخيط اللامرئي الذي يفصل بين الشخصيتين عن وجود لوركا بين سطور الوصف لشخصية "**جكر خوين**"، والعودة إلى المكان الأول عبر عشرات الأعوام مما سيحيل الذاكرة إلى وعاء متشابك الرؤوس لا تفرغ من إحداها حتى تلتجئ إلى الآخر في عملية متوازية لا يقيها من

الخطل سوى مشروعية التسمية التي أطلق فيها الروائي نفسه على التوصيفات بكونها "شطحات". وهذه بحد ذاتها تتناهبها تقاطعات حادة يمررها الراوي بصبر لاستنطاق جلّ قسماتها وما يتبعها من الحنين لاسترجاعها حتى لو كانت من خلال وعيه الخاص.
وعبر ذلك سيلاحق الرحلة التتابعية للطائر الذي يطوف (**عامودا**) من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها ليلقي بالحصيلة بين يدي الراوي كي يلتقط منها ما يشاء. ورحلة الطائر "العامودي" ليست لاكتشاف "**سيمرغه**" الخاص أو صورته المنعكسة لأن ذلك مقدر له منذ البداية وبوضوح القصد لدى الراوي. الطائر هنا هي السنونة المحلقة فوق "**عامودا**" والمحلقة كذلك فوق غربة الكاتب. وهي هنا طرف متمم لاستذكار المخطوط الذي طالما احتفظ به العم ويعرف بأمره كل ناس عامودا والذي لا يهابون شيئاً قدر الذكريات ذاتها.
كل ذلك لم يمنع الراوي من اتخاذ صفة المنقب في الأحداث وقلب الذكريات فوق خارطة القرية، معيداً بذلك تاريخها وحكايات رجالها ونسائها ودوابها، بل وحتى أزهارها، ولعل الأميرة الزهرة ما هي إلا "**عامودا**" القرية. إن الشخصيات الأساسية هي الهوامش المتداخلة/ المتذكرة/ المتألمة على شيوع أثر الضياع في سطور المخطوطة، وهي على أية حال الكل في آن واحد والمتمثلة في الرواية. إن "**جهة الأربعاء**" واحدة من الأعمال القليلة المهمة المضافة إلى الأدب الكردي المكتوب بالعربية، والكاتب في إهدائه الرواية إلى **سليم بركات**، إنما هي تذكرة أخرى بدور هذا الروائي الفذ في غرس النبة لدى الحسيني في إعادة كتابة مخطوطة **عامودا** من جديد.

- **(مدريد 1998)**

ملفّ عن الشاعر الراحل محمد عفيف الحسيني
5- محمد عفيف الحسيني:
قريبٌ كالمجرة، بعيدٌ كعامودا

- **عبد الرحمن محمد**

في عامودا، وفي يوم من أيامها الجنونية، أو ربما العابقة بالشعر ورائحة السنابل، من عام 1957، كانت صرخته الأولى التي أسماها الكثيرون بالولادة، وبدت بعد ذلك إعلانا لبدء الخسارات المتتالية التي تجلت في خسران أيام العمر التي بدت مريرة بعد تلك الصرخة الموجعة، ولم تتوقف حتى بعد مغادرته لها قاصدا المنافي البعيدة ليستقر في السويد، التي ضمت شتات روحة المتعبة، وجسده المنهك.
محمد عفيف الحسيني، حمل عامودا وعبق سنابلها ورائحة خبز تنورها وكل أوجاعها معه، وحمل الكثير من خميرة الشعر والأدب من ينابيع عامودا، وهناك كانت ولادة محمد عفيف الشاعر، الذي أطلقت الغربة عنان قريحته، وفجرت ينابيع الإبداع لديه: "المنفى أعطاني الشعر، في السويد كتبتُ الشعر، في عامودا، كتبتُ الشعر العجول"، إذ كثيرا ما كان مصير ما كتبه وهو في عامودا المنع الرقابي، أو الرفض الذاتي."
ما ميز محمد عفيف الحسيني، أنه ينتمي إلى جيل شعري ازدهرت فيه قصيدة النثر باللغة العربية، وتمكن منها، وروّضها لنقل مأساة قومه من الكرد، والتعريف بقضاياهم وتاريخهم وآلامهم، في مرحلة معقدة حساسة، وتعمد الكتابة بالعربية رغم اتقانه الكتابة بالكردية لكنه كان يخشى ألا يبرع بكتابته بالكردية، كما نبغ في الكتابة بالعربية، وكان ديوانه الأول مشتركا مع الشاعر الكردي المعروف أحمد الحسيني، الذي شاركه الكتابة باللغة الكردية.
للشاعر أعمال عدة مميزة في الشعر، تتسم بأسلوب فلسفي عميق منها مجموعته "بحيرة من يديك" عام 1993 التي تضمّنت نصوصاً تحمل نزعة غرائبية نوعاً ما، في الجمل الشعرية، التي لا تترابط في ظاهرها، وتراكيبها، وارتباط بعضها، لكنها تترابط ضمنيا، وتبني

قصة وهدفا ذا مغزى عميق، بالإضافة إلى أعمال أخرى مثل "الرجال"، و"مجاز غوتنبرغ" و"نديم الوعول"، وكتاب "كولسن"، إلى جانب "جهة الأربعاء: شطحات روائية". كما صدرت أعماله الشعرية قبل فترة وجيزة، عن دار "هُنّ"، تحت عنوان "تحدّث معي قليلاً أيها الغريب."

كذلك قدم حسيني للقارئ ما يشبه السيرة الذاتية في أسلوب سردي شيق، وممتع في كتابه "بهارات هندو - أوربية"، عام 2020، وضمنه الكثير من تفاصيل حياته في بقاع شتى من البلاد العربية والعالم، منطلقا من عالمه الأجمل عامودا. وغلب على الكتاب الطابع الصوفي، والمشهد الروحي المتقشف العفيف.

تأثر محمد عفيف الحسيني بما أحاط به في صغره وصباه من فقر، ومن جو مشبع بالثقافة والعلم، وكذلك الكتب التي رأى نفسه محاطا بها، فأتى عليها قراءة وتمعنا، وتأثر كثيرا بكتب التراث، والكردي منها خصوصاً، وما كان يميل إلى التصوف منها على وجه الخصوص كـ "ملايي جزيري" وسواه.

في الرابع والعشرين من آب عام 2022 وفي غوتنبرغ بالسويد، توقف قلب محمد عفيف حسيني عن الخفقان ليعلن راحته الأبدية، تاركاً إرثاً أدبياً لا يقدر بثمن.

ملفّ عن الشاعر الراحل محمد عفيف الحسيني

6- قصيدتان إلى محمد عفيف الحسيني

- محمد نور الحسيني

1- تقرير موجز عن عودة السندباد البري إلى مرفئه الأخير!

{إلى محمد عفيف الحسيني الذي قليلًا ما قارب الرثاء
وكثيرًا ما تجنّب الحداد!}

ما تبقى من مراكبك وصلت
ما تبقى من مدن لم تزرها!
ما تبقى من القصائد وصل
والأقلام والمحابر وصلت
القطط التي آثرتها كذلك..؛
فراؤها شاحب
متسخ قليلًا
مواؤها كالطعنات وصل
المعشوقات وصلن
كليلات وصلن
واهنات
ذارفات
ضوء العين
بعد الكحل..
الغربان التي كانت تسرق من مائدتك
قمحًا ونبيذا لم تصل
عاهلهم لم يصل
كان يعد صليبًا
ومسامير
جميع الكذبة والفريسيين
لم يصلوا
وصلت السكاكين عنهم
وصل القرين

من كاد أن يشبهك وصل،
حول عينيه
هالتان
وفي قلبه
النصال!
الذي وصل
وخطه الشيب
خصلة خصلة
الذي وصل كسرت العاصفة
مجاديفه
رنّحت مركبه
فجنح إلى برّ لا بحر بعده
بمجذاف يترنّح
صاعدا
متأهّبا
على ظهره جمر الحسرات
وفي الصدر الآهات
تلهث
إلى السدرة الكبرى
جذورها في شرمولا التراب،
غصونها
عند البيت الأول
في غوتنبرغ
كارين بويه؛
عليك وعليهما السلام
مدينتان تقاسمتاك
وما وصلت
كلهم حضروا إلا أنت
أنت المولع بالتخفي والغياب
تخاصم لتغيب
تحب لتغيب

تعتزل لتغيب
لم تكفك شجرة واحدة
ولا حضن واحد
ولا أم واحدة
كنت متعددًا
فأنى لشجرة واحدة أن تدرأ عنك الأنواء!؟،
شجرة غريبة
طافحة وفي الخريف! بالثمر
حضنها المورق لنهم أشواقك
كاسات رحيقها لخلجات قلبك
قامتها ليديك الخبيرتين
بما يتطلبه
الحب
وما تتوخاه الفاتنات من الهمس واللمسات!
رفعت الأقلام
ونشفت المحابر
أفض عليها
على بينلوبي
من دثار روحك
بينيلوبي الانتظار
بينيلوبي أردية الشجن
الشجن الذي هوى
كغروب مباغت ؛سقط من شاهق
وانتهى كمركب
في بحر لا قرار له
في بحر الظلمات!
آثرتها كما لم تؤثر مدينة
نأيت عنها كما لم تنأى عن أحد
أفرطت في نسيانها
حتى أنك رميتها بالورد الذابل
نأيت عنها

نأيت كثيرًا
في أحضان الجنيات
غفوت
على خصور الحوريات أيضا .. !
ولم تنم
أرقت أرقت
لكنك
رجعت
سندبادا
متقرح الجفنين
تنهض من مركبك
كليل النظرات
أشواقك هائمة،
تبحث عن ميناء كي ترسو
كي تثأر من أرق مديد،
ثم تغفو وتنام!
عاد الطائر إلى عشه
والبذرة عادت إلى جذورها!
والطفل بعد يتم مديد
عاد..
/إلى غوتنبرغ القصية!
منذ عقود تنتظرك!
ساحاتها
متاحفها
ظلال تماثيلها
حتى كارين بويه
وأنت تروي بشغف
عن انتحارها!
كأن ذلك جرى للتو!
ها هي تعانقك!
المرأة الأولى

المدينة الأولى
تمنحك الدرب الأخير
إلى فردوسها
في إناء من الرحيق
مذاقه برقة أنثى
وشغفه من شغف
امرأة مستحيلة..
ستخط على جبينك
آية الشجن
وتهش الغربان
عن حقول عينيك
حتى تخضر وتخضر..
المدينة الأولى
المرأة الأولى
الولد الأول
كلهم
جاؤوا
ليلملموا ما تبقى من دمعك
وما فاض من وجدك
والقصائد
التي ترجلت منها
كما يترجل الشعراء
من نبضات قلوبهم
إلى أحضان الحبيبات
بعد أن أنجزوهن تماماً
أنجزوا اللحن والإيقاع
وكل مالا يعرف لا السلوى ولا السلوان..
بعد أن تتلى كل القصائد
ويغادر الضيوف والغرباء ساحتك
بعد أن اختتمت آخر حفلات سمرك
لشهر آب!

ستعود إلى بيتك الأول
إلى السرير الأول
قرير العين
ستعود غريبًا
كما جئت
كما كنت
كما كنا
كما جئنا
فطوبى للغرباء!

2- تلويحة أخيرة في إيقاعين (لمشاغبات سندباد القصيدة)!

-١-
ويا محمد بن عفيف
يا بن بدرية الخضراء
يا سليل الألم المتوارث
ويا قريني في ممالك الرماد!
كم قلت لك أن الغابة ستحترق
فما أنصتت!
وأن خمبابا سيلتهمنا
واحدًا تلو الآخر
فما صدقت!
وأن العشبة التي تبحث عنها
في ثغور النساء
وفي أحشاء الكتب
وفي هوامش الأسفار
وفي تنسيق الأشعار
مجرد وهم
وصفير رياح!
وعبث أقدار!
لكنك تمردت وتمردت !
لا فرق في الحالين

أينا
كان
أنكيدو
وأينا
صار
كلكامش!
•••
-٢-
ازدادت مساحة الدمع بغتة!
تبعثرت عبثًا
جمهرة من أوراق العمر
ثكلت ذكرياتي
حقًا لا مجازًا!
وغلبني القدر كما يغلب الناس أجمعين!
كنت أكبره بشهر
وكان يصغرني بدهر
يصغرني
بالمشاكسات والشغب
حتى أنه كان يخرمش هوانا
وكنت أعدها شيئًا من مداعبات
القطط التي يربيها
لأنه بعد الخرمشات كان يتماهى عجلا
مع ألفة كائناته تلك!
كنا شركاء كثيرًا
كأن أحدنا قرين الآخر!
لكنها الحياة
وتقلباتها
التي أذهلت بعضنا عن بعض
ونأيت عنه ونأى عني
عاش على مذهبه الوجودي
وعشت على مذهبي الوجودي!

بعد أن تأكدنا
أن الكل خاسر
والربح مجرد وهم نقتات عليه
ولا يربحنا إلا العدم!
كان يؤثرني حتى أمد!
ربما لأني كنت التوأم النقيض لخيول روحه الجموح
التي فشلت في ترويضها
حتى ولو قليل من صهيلها!
كنت أتعايش معه
نأمة بنأمة
وشوكة بشوكة
وجرحا بجرح
خيبة بخيبة
وحبًا بحب
ومعشوقة بمعشوقة
وتباريح بتباريح
وحجلنامة بحجلنامه!
صعب أن أدون عنه الآن أكثر
صعب جدًا!
لأن الطعنة أعمق في القلب
لأن الصاعقة التي سقطت
رنحت كل سقف
كان يداري خيباتنا!
وآل ما ابتدعناه في مهب عاصفة
غير شفيقة!
لم يبق رغم عزلته واحدا ولم نبق اثنين رغم فرقتنا!
كبا بنا الجواد
الذي كبر معنا
كبا كثيرًا
ولما آلمتنا كبواته
نحرناه معًا وما نجونا!

والآن على عهد ما
منذ مدرسة السريان الابتدائية في عامودا
حتى خرمشات قططك السويدية الألمانية!،
إذا تسنى العمر وخرج الجني من القمقم ثانية؛
أن أخرج لكم
كل ما لنا من شراكة
من شدق التنين
وأجعله يحيا مديدًا
كعنقاء
كشعلة لا تعرف الرماد!
٢٤/٨/٢٠٢٣

- **عامودا- ألمانيا**

ملفّ عن الشاعر الراحل محمد عفيف الحسيني
7- إلى البستاني الأعمى

- خضر سلفيج

الأزهار التي تقودك إلى رائحتها
بعصا الضوء
كانت ثملة بنباهتك
غير أنها تعضّ على أصابعك
لتتحسس لوناً من بكاء
فوق جوريّ المراثي
وأنت في عتمتك
ترسم وجوه الغائبين
كيف تراها تتحمل هذا القدر من الأحزان؟
تتأمل نفسها مليّاً، عارية، في ضوء عصاك
وتسأل عن غدها
بكل هذا الضيق الذي يسعل بالأمل.
*** *** ***
إلى محمد عفيف الحسيني في رحيله:
كأنه الزمنُ ينتعل الوحشة
أخرس يترجم للعميان
شجن الغريب
قبل أن يدخل إيثاكا
ويودعنا.
*** *** ***

لو نحتّ نصبا للمتاه، وجعلته يُدْمِنُ التبغ وكتابة الوحدة، لكنت بهجة الوحشة وعَشم الفوضى البريئة في مشكاة الغريب، وما ترتب من أزرار المعرفة وقمصان السعادة المستعملة .
لكنك كنت تخشى النزول وحيدا إليه.. وأنت تكره تمارين البكاء اليومية.
لو نحتّ للاستذكاريين جنديا رخاميا، رغم أن حسّاً بالخيبة، وسقوط الوهم، كثيرا ما يبرز في تأويلهم، لكنت بصيرة الأعمى.

وأنت العارف بحسب ما يكون الرخام مراداً وفيه من الصفات يستغرق بالبكاء المحسوس واللامرئي كمطر الله، ستشاهد فيه فم الغياب وتسمع منه ما تحتاج إليه، ويكون الكلام فيه كثير وأنت الغريب حتى يألفه ويتداومه، ويعتزل بالحلم ولا ينام حتى تغلبه عيناه، ويغتسل بالشهوات وصحة الحال.
دع لنا قلبك وإلى الغريب من حيث هو يشتاق، ينحت الشوق وشما على نهد النبالة، رغم أنك تعرف أن لا شيء يشتاق إلى أناقة السعادة التذكارية، صديقي.
*** *** ***
خرجت من طفولتك كهلاً مثقلاً بالمراثي
كمثل كمنجة بقلبٍ ثَمِلٍ .ما أن تَهبطَ بك، حتى تتجلى المراثي بالغناء عن الحمى وشجن المسرات.
وهي المسرّات لا تنبت بين أضواء المدن الباردة
منذ سفر التكوين، حتى سفر الرؤيا
منذ تفاحة الحقيقة،
حتى حقيقة العزلة
وموت العافية.
سيلقي بك رماة الشجن ورعاة الحزن إلى برّيتهم
إلى عامودا حوزة النص ومراهقة الأنين الأبيض
إلى يد العارف بالقسوة العاطفية
وهم يمارسون الطواف حول صدرك الهزيل
زارعين بتراب مرقدك بذور الحنين إلى نُوتات "شرمولا"
بكل ما مضى من تلك المسرات القديمة
وسعال الأحصنة
حتى بكاء الشعر
وهو ينشدُ أغنيةً جديدةً للوعل المغادر
لنساء الغريب والجدائل الميتة على الضفة الحجرية.

الحاضر متعب يا صديقي
يارا باشا

الحاضر متعب يا صديقي
هكذا أتمتم حكمتي كالعائد من حافة الجنون
وأدوّن رؤية ترهقني عند مطلع الفجر
كلّما تاهت الغجريّة في كفي عن الطريق
قالت
أراك خطوة والوجهة ضالة
في أرض تحيا وفي أخرى تموت
الأشياء التي لا نتذكّرها، هل وقعت فعلاً؟
إذا لا تذهب إلى هناك، ستتألّم
ابق عند الأبيض الحياديّ، ابق حيث ملاذك
لأنّك تعرف جيّدا ماذا يعني أن تكون نفسك
أن تحمل رأسك في الصباح وتخرج إلى الشارع
أن تقوم بذات الأشياء كأنّك راهبها الأزليّ
أن لا تنقص
أن لا تزيد
كأنّك ثابت، لكّن المدينة ذهبت دونك
وأنت تأخّرت قليلاً عن الجموع حين فقدتهم
ولا تعرف إلى أين تتجّه الآن
أينما أدرت دفّة قلبك كان الغرق
وكنت وحدك لكنّك كثير
كنت كثيراً حين مات العصفور ووجدته مصادفة أمامك دون حراك
وحين ماتت الجدّة المصابة بالزهايمر
تلك التي وجدوا تحت وسادتها الكثير من الصور، دفاعاً عن الذاكرة، عن الأشياء التي تحبّ.
كنت كثيرا حين قتلت أباك لمرّات كثيرة
وحين أحببت من تحبّ
ورحلت لأنّك لا تعرف ماذا تستحّق.
مرّات يخرج الحزن منك

يخرج دفاعاً عنك
عن الأشياء القليلة التي تدّعي بأنك تحبّها
عن شيء ما فيك، لا يراه الآخرون
ولأنّك لا تعرف كيف تحبّ الأشياء بأكثر من طريقة ممكنة تتألّم
ولأنّك لا تسامح نفسك
تطلب ذلك من الآخرين على نحو دائم
تخذلهم، ليؤلمك شيء آخر، شيء حقيقيّ
شيء لا يقوى القلب على طحنه إلا بمزيد من الألم
إيديث بياف تغنّي لا أندم
وشيء ما داخلي محطّم
لا أستطيع ترميمه
لكنّي لا أندم أيضاً، ولا أتعافى
الأشياء على حالها كما يجب أن تكون
البارحة، اليوم وفي الغد
هكذا أصبح لأعوامي وجهاً غير وجهي
أقول:
سأكون حين يمرّ في الطريق غريب
وسأتابع عنه الرحلة
لكن أين ذهبت الحياة كلّها
حين كان لأعوامي وجهاً
وتمنيت لو أمسك أحدهم بيدي
حين كنت شحيحاً
وأحياناً حين كنت واسعاً دون جدوى
لو سألني
متى بكيت، وكيف هو شكل الحزن حين بات أليفاً
ولماذا كلما عدت إليه الآن وجدته طازجاً
أفتح عيناً للعالم
وأغمض الأخرى عن العالم الذي في داخلي
من جلد فارغ، أنهض
فلا شأن لي بالعالم داخليّاً كان أم خارجيّ

أبارك النافذة، لم تصبح سبباً لموتي بعد
وأعطي لليوم اسماً جديداً
اليوم، يوم الغجريّ الشاسع
وأضحك بسرعة على حدث تصوّرته في رأسي
عن موت مضحك داخل حجرة مليئة بكلّ مقومات العيش
ومثل كلّ إنسان صالح، أصيغ كلّ كذبة ممكنة لهذا اليوم
وأبارك النافذة، مئة مرّة أخرى
وأخرج للعالم الجديد، الخائف من حرب نوويّة
البارحة، كان يوم دراكولا الحزين
أكلت قلبي لأبقى على قيد الحياة
وحين خرجت للضوء، خفت مما قد يحصل للخرافة
هكذا وبإصبع واحدة خبّأت الشمس ونجوت في البلاد البعيدة
وكان يمكن أن أغفر كلّ هذا
أن أغفر البكاء اليائس لأمهات النوارس والبشر
أن أغفر الأخبار العاجلة عن موت الإنسان غرقاً
أن أغفر للعطش، لحظة خديعة
حين خال اللحم، اللحم الطازج، ماءً
أن أغفر للحياة، دوافعنا الأزليّة للنجاة فقط
لو أنّ العالم لم يكن خائفاً إلى هذا الحد الهيستيريّ
ولو أنّي أهتمّ فقط
لكن اليوم هو يوم الغجريّ الشاسع
ولا انتماء لي إذاً لعذابات أوسع من الأرض
قلب رديء وحزن لا يزول
وحياة واحدة لا تكفي
لا تكفي للضجر من المدن المفعمة بالحياة
وخوف من حرب نوويّة
لا تكفي لقول ما أشاء
ولأدّعي بأني أهتمّ
إذاً من دمشق، هنا القاهرة
لطالما أحببت هذه الواقعة
حتّى أنّي بكيت بصدق لأجلها

وكلّ مرّة كان فيها الحبّ لا يطاق
تخيّلت قلبي جسراً وقلت للبعيدين
من قلبي، هنا تمامًا، ينبض ما يشبه قلبكم
وهنا أنتم، في غرفة صغيرة
لكم حظّ الأشياء القليلة، مثلي
تلك التي تعيق كتل اللحم النيّئة من البلل
لنا جميع الليالي القادمة
ولو كان حظّنا لطيفًا
لكان لنا متسّع من الأحاديث البسيطة حتّى الصباح
عن حبّ صعب، ورغبة في الآخر لا تهدأ
عن شقاء الجسد حين لا تمتد يد طيّبة إلى جبينك
عن صِفة ما في الماء تُلهمنا
دون أن نعرف كيف ننجو تماماً
ثمّ تركنا للصدفة أن تختار
أكثرنا جدارة بالموت
وأكثرنا حظّا لم يمت، عاد ليصبح باباً
انغلقَ على نفسه وعلينا
وللمرّة الألف، قلنا لا بأس
هو قلب طريّ والآن أصبح تابوتاً للمعاني كلّها
وبكينا كثيراً
حين كان للبكاء دهشة النقاء
وكان الإنسان عبارة عن قرد يعرف كيف يأكل، ينام ويتكاثر
دون حاجة ملحّة لخلق معنى لهذا كلّه
وقبل أن نصبح، مع بعضنا نسخاً بغيضة عن أنفسنا
بكينا دائماً
على كلّ ما تخيّلناه من الشرق الأزرق حتى الغرب الحزين
على الشمال حين كان ينتهي إلى البيت
بكينا على الجنوب، كلّما تدلى من أحلامنا، كمشانق
وعلى شيء من الأبديّة، لو أنها تتسع لواحدٍ، وقلبه.
أيّها الغجريّ
نجوت من حمّى الموت دفاعا عن الوطن

الأوطان الكاذبة، جعلت منّا مواطنين بائسين
وأنت نجوت من البكاء على صورة الغريق
لأنّه كان عطشا، لوطن آخر
لا يموت دفاعاً عنه
وعلّمتنا الرقص، عوضاً عن البكاء
ثم حدّثتنا عن الحياة
في كف تتعرّق من أجل عذابات كثيرة
صمتك يشبه أغنية حزينة
وغيتارك مثقوب من جهة القلب
لكنّك لا تشحذ خنجرك
إلا لسلخ الألم
شيءٌ ما عليه أن يقال دائماً
لكنّك لا تعرف ماذا تفعل بقلبك
حين ترحل عنك كلّ الأشياء
لمن تعطيه
فيقشّر عنه لحاء قبحه
ويحصي بذور الخراب
قلبك الذي تغطيه قبعة سوداء
لكنّ الساحر لا يجيد سوى قتل حماماته
لأجل الدهشة
وربّما لهذا أسمع تصفيقا طويلاً في رأسي
حاشية من الخوف
من الحزن والبكاء المالح
تسبقني إلى نفسي، إلى السرير
والوسادة
حيث ينام الآخرون وأستيقظ في كوابيسهم
وحين قلت بأنّي الشخص الذي على الرغم من صحوهم
أسقط مراراً من هاوية
لم يسمعوا أو يصدقوا
غابوا وسقطت
ناموا وسقطت

وكلّما نهضت من وسائدهم
أجد نفسي حطاماً
يتكوّم فوق سرير
يخرج من صدره قلباً
ويقول:
هذه هي حياتي
يخرج من حياته إنساناً
ويقول: لا أعرف أين أموت
تحاصرك الوجوه في أحلامك
كلّما فتحت عينا فقدت ذراعاً
فقدت قلباً
وتسأل كم ذراعاً تكفي
حتى لا ترتد كل هذه الوحدة إلى صدرك
أقتل ولا أستطيع منع ذلك
لأن الحاضر متعب يا صديقي
كمباراة لا تنتهي
فمن يعتذر لنا عن موت مفاجئ في غير أوانه
عن حياتنا التي تختزل بعدنا
بصورة معلّقة على جدار
وعن الإنسان الذي يرتق حاضره
ويترك ثقوب قلبه
ناياً ينبح في العراء.

- **ألمانيا**

قصائد
للشاعر الأميركي تشارلز سيميك 1938-2023
ترجمة: أحمد م. أحمد

رأس الدُّمْية الخشبيّة ذات المائة عام يغسله البحر على شاطئه الرَّماديّ. يودّ المرء لو يعلم القصّة. يودّ لو يؤلفها، يؤلف كثيراً من القصص. كانت هناك منذ أمد طويل في البحر، امّحتْ العينان والأنف، ابتسامتها الشّاحبة غدتْ أكثر شحوباً. ومع مجيء الليل، سيطيبُ لأحدهم أن يتمشّى على الشّاطئ الخاوي وينحني عليها.

*

في غابةِ علامات الاستفهام لم تتعدَّ علامةَ النجمة.

يا فصلَ السّديم! ها أحدهم قد نفخ في بوقِ الصَّيْد.

قال المُعْجَمُ إنك كنت إشارةً تعني الإغفال، لم تلبث أن حوَّرتِ الموضوعَ بشكلٍ جذريّ وتحدثتْ في "نظريات علامة النجمة"، التي يُفترضُ أنَّ لها علاقة ببللوراتٍ تُبدي عن هيئة نيّرةٍ على شاكلة النّجم.

ما كنتَ تصدّق كلمةً من ذلك كلّه. لعلامات الاستفهام تذكاراتُ فالنتاين نُقِشتْ على جذوعها لكي لاترفع ناظريك فتقعان على الحبال.

حبالٌ دهنيّةٌ بأناشيطَ طفليّة.

*

كلّ شيء يمكن التنبّؤ به. بل كلّ شيء كان قد تمَّ التنبّؤ به من قبل. وماخطَّهُ القدر لايمكن تجنّبه. تلك البطاطا المسلوقة. شوكة الطّعام. قطعة الخبز الداكنة هذه. وهذه الفكرة أيضاً...

جدتي تّدركُ ذلك بينما تكنس الطَّوار. تقول إنَّ ما مِن إله، فقط ثمة عينٌ هنا وهناك ترى بجلاء. الجيران منهمكون في مشاهدة التلفاز لكي يحرقونها كما يحرقون ساحرة.

*

أطلقَ على كلبٍ اسمَ رامبو وعلى الآخر اسم هولدرلين. وكلاهما مهجّن. "الحياةُ التي لاتبتلي ليست جديرةً بأن تُعاشَ" هو قولُه الأثير. تبدو زوجته مثل ***"حريّة"*** دِلاكروا نصف العارية. تحتذي نعليّ رعاةِ بقر، وتقطف الفطرَ المريبَ في الغابة. الليلةَ سيشعلان شموعاً طويلةً ويحتسيان النبيذ. بعدها سيفتحان الباب ويُدْخِلان الكلبين كي يقتاتا فتات الطعام تحت المائدة. "*Entrez mes Enfants!* ادخلا يا صغيريَّ!" سيرفع صوته أمام الليل، ومن خصره يقدِّم انحناءةَ إجلال.

*

كَلْبٌ ذو روح، هل وقعتم عليه؟ أنتم القردة برؤوس سقراط، أطفال مذبح الكهنة الزائفين، أساتذة الشرّ المتقاعدون! أتخيّلُ مدناً يمكنني أن أضيعَ فيها. ألتقي كلاباً أخرى ذات روح بينما لا أكون مُشْرعاً في إشعال المفرقعات في رؤوسٍ يكاد يغلبها الوسَن.

مفرقعات الدم -و-الأحشاء. لكم أن تبصروها في الظلام، أنتم ياهارشيّ المؤخرات! لكُم أن تبصروها في الظلام.

*

الزّمنُ- السّحلية تحت ضوء الشمس. لاتنِدُّ عنها حركة، لكن عينيها مفتوحتان على اتساعهما. *فهما تعشقان التحديق وتشنيف الآذان إلى خُطبِنا.*

لعلَّ ذلك يعود إلى أنّ الرِّجال الأوائل كانوا سحالي. وإذا لم تصدّقني، قمْ واقبضْ واحدةً من ذيلها وسترى كيف سينقطع على الفور.

*

كانت مارغريت تنسخ طريقةَ إعدادِ طبق "قدّيسين مشويين بالبصل" من كتاب طهيٍ قديم. أصوات العالم العشرة آلاف كانت قد أُخمدتْ حتى أننا سمعنا صرير قلمها. كان القدّيس هاجعاً في غرفة النوم وعلى عينيه ثمة قماشة مبلّلة. وعبر النافذة، قعد مؤلِّفُ الكتاب على شجرة تفّاحٍ مُزهرة يقتل القملَ بين أظافره.

*

قصيدةٌ في الجلوس على سطح نيويوركيّ ذات مساءٍ خريفيّ بارد، تحتسي النبيذَ الأحمر، مُحاطاً بأبنيةٍ شاهقة، وبأولادٍ صغارٍ يتراكضون باتجاه الحافّةِ الخطِرة، وتلك الفاتنة المنزوية التي أحبّها الجميعُ في السّرّ. ستموتُ في ريعان الصِّبا لكننا لم نعلم ذلك بعد. ثمة ثقب في جوربها الأسود، يُبرز إصبع قدمها الكبير، إصبعٌ بطلاء أحمرَ... وناطحات السّحاب... في الضوء الذّاوي... مثل كلدانيين جدد، وكاهنات معبد دَلفي، وكاساندرات... بسبب نوافذها العمياء الكثيرة.

*

عزيزي فريدريك، لايزال العالم مزيّفاً، قاسياً وعذباً..

منذ انسدال الليل، وأنا أرقب عامل المصبغة الصّينيّ، الذي لايقرأ لغتنا أو يكتبها، وهو يقلّب صفحات كتابٍ خَلَّفَهُ زبونٌ عَجول. لكم بعثَ ذلك فيّ الغبطة. أردّتُه أن يكون كتابَ أحلام، أو مجلّدَ شعرٍ عاطفيّ سخيف، لكنني لم أرَه عن كثب.

إنها الآن تقارب منتصف الليل، ولايزال مصباحه مُضاءً. لديه ابنةٌ تُحْضِرُ له العشاء، ترتدي تنانير قصيرةً وتمشي بِخُطىً واسعة. تأخرتْ، تأخّرتْ للغاية، حتى إنه توقف عن الكيّ ومضى يرقب الشارع.

لو لم نكن كلانا، لما كان هناك سوى العناكب تُعلِّق شباكها بين مصابيح الشارع والأشجار الدّاكنة.

*

"ثمة ترف استوائيّ يكتنف فكرة الرّوح،" يكتب نيتشه. لطالما شعرتُ بذلك، أيضاً، يافريدريك! أدغال الأمازون بطيورها الملوّنة الزاهية تزعق ثم تزعق، لكن أعماق تلك الأدغال تبقى خامدة وظلماء. البنت الحلوة الضائعة تُلْقِمُ قرداً صغيراً صدرها. وضمن الحضور ترتدي السحالي حِلّةً كنسيّة وتتحدّث إليها بالفرنسية: " *La Reine des Reines*" "ملكة الملكات" بما يشبه الترتيل. ليس لأدنى درجات الفتنة في هذا المشهد أن تُمحى بتلك السهولة التي يُمحى بها فعلٌ منافٍ للأدب.

*

أسَرَّتْ له الغيومُ بأسمائها ظهيرةَ صيفٍ هادئة. لكنه عندما سألَ غيومَ المساء، "هل رأيتنّ ماري وبريسيلا؟،" لم تحره جواباً. كانت قطيعاً صارماً وأخرسَ. أولته ظهورَها الرّماديّة متّجهةً نحو "ستارغِس"، حيث للتوّ أطلقَ مُزارعٌ النارَ على حصانٍ مريض.

*

هل أَكَلَةُ لحوم البشرِ الرّوسُ أسوأ من أقرانهم الإنكليز؟

بالتأكيد. فالإنكليز يأكلون القَدَمَ فقط، بينما يأكلُ الرّوسُ الرّوحَ. "الروح سرابٌ،" قلتُ لآنا أَلِكساندروفنا، لكنها مضتْ تأكل روحي رغم ذلك.

"أمثل طبق "كونفيت" البطّ رائع المذاق، أم مثل بطلينوس العنق القصير المذهل الآتي لتوّهِ من موطنه المالح؟" تساءلتُ. بينما اكتفتْ بِفَرْكِ بطنها وابتسمتْ لي عبر الطاولة.

*

ممثِّل يتظاهر بالأكل على خشبة المسرح الخاوي. المرأةُ التي تندفعُ من الكواليس نسيت كلماتِ دَورِها. *يا أيها القصر الذي يستحمُّ بضوء القمر*! المرأةُ ذات الشَّعْرِ الوحشيّ بفمها المفتوح، ثمّ الأمير المزيّف يحاول الوصول إلى مسدّسِه الدُّمْية.

*

الرجلُ الميتُ يترجّل عن منصّةِ الإعدام. متأبِّطاً رأسه الدامي تحت ذراعه.

أشجار التّفّاح ترفلُ في الزَّهَر. بينما يشقُّ طريقه باتجاه حانة القرية على مرأى من الجميع. هناك، يتخذُ كرسيّاً قرب واحدةٍ من الطّاولات ويطلب زجاجتيّ بيرة، واحدة له والأخرى لرأسه. تمسحُ والدتي يديها بوَزرتها وتقوم بخدمته.

إنه السّكون المطبق يعمُّ العالم. إذ بوسعِ المرء أن يسمع النّهرَ القديم، الذي لِفَرْطِ تلاطُمِه ينسى في بعض الأحيان فيتدفّق إلى الوراء.

*

ملاكي الحارس خائف من الظّلام. يتظاهر بعكس ذلك، ويدفع بي قبلَه، يقول إنه سيكون معي في لمحِ البصر. لكن سرعان ما أكتشف كذبه. "لابدَّ أنّ هذا هو الرّكنُ الأكثر ظلمةً في السّماء،" تهمس إحداهنّ من وراء ظهري. إذْ تبيَّن لها أن ملاكها الحارس مفقودٌ هو الآخر. "هذه إساءة،" أقول لها. "الرّعديدان الصغيران القذران يتخليان عنّا طوال هذه المدّة،" تهمسُ. ونحن نعلم، بالطبع، أنني قد أكون بلغتُ المائة عام من العمر، وأنها مجرّد بنت صغيرة نعسانة بنظارات.

*

ذهب الكلب إلى مدرسة تعليم الرقص. صاحبُ الكلبِ نَشَقَ من زجاجاتٍ تحوي نسائمَ فيينا. وذات يومٍ ترامى إلى الاثنين أنَّ سيّدَ الكون الجديدَ مرَّ أمامَ بابهما بخطىً مزلزلة. إثرَ ذلك، بادلَ الرجلُ ملابسَه بملابس كلبه. غدا كلباً بساقين اثنتين، يرتدي بذلةً، ما أفضى بهما إلى حافّة الدِّرْكِ الأسفل. فالرجل، الذي بات أعمى وأبكم، لايزال يلوحُ بذيله لدى اقتراب الغرباء.

*

ليستْ الأشياء سوداء إلى هذه الدّرجة كما رسمها أحدهم. كان هناك طفلٌ ظريف يلبس حِلّةً سوداء ويلهو بتفاحتين سوداوين. لعلّها كانت فتاةً تزيَّتْ بزيّ ولد، أو ولداً في زيّ فتاة. في الحالين، كانت الأسنان بيضاء صغيرة. والمشهد خارج النافذة كان قد اسودَّ بضربة فرشاة ثقيلة وخشنة. كان الأمرُ بِرُمَّته شديد الغائيّة، ماعدا اللحظة التي أبرز فيها الولدُ لسانَه الأحمر.

*

دجاجة يفوقُ حجمُها القنَّ تنقر باقي الدجاجات كأنّهنّ حبّات ذُرَةٍ بيضاء. تقول الأسطورةُ إنها والدة جدّتي. ونحن نفرّ بجلدنا، والد جدي يقود المسيرة. "سننزعُ نظّارتيك، يا كورنيليا،" يهدر بصوته الجهوري من أعلى كتفه!

لكنها ازدردتنا على أيّة حال. كان الأمر شبيهاً بما وقع عليه يونس في بطن الحوت، ماخلا تلك العروس القرويّة الفتيّة التي التقيناها هناك. ابتسمتْ بغموضٍ يوحي بالترحيب وأَرَتْنا أسِرَّتنا حيث سنمضي فترة أسرنا الطويل.

"حبذا لو كففتِ عن هذا الهراء، يا عزيزتي،" سمعنا صوت والد جدّنا يهمس قبل أن نغطَّ في النوم.

*

المُزارعُ العجوزُ بسرواله ذي الحمّالتين معلّقٌ من عارضَةِ الحظيرة. البقراتُ تشيح بأنظارها إلى جِهاتٍ أخرى. المرأة العجوزُ جاثيةٌ تحت قدميه المتأرجحتين في ثوب الأحد الأسود تلامس الأرضيّة بجبهتها مثل مُسلِمٍ. وفي الخارج كانت السّماءُ تحفَلُ بغيومٍ مزبدةٍ فوق حقلٍ محروثٍ بلا علامات حدودٍ على مدِّ النّظر.

*

الجُرَذُ قام بتربية عصافير الحُبِّ. النافذة مشرَعةٌ. والعصافير عارية. كانتْ ترتعشُ تحت ضوء الشمس السّاطع الذي سقط إلى القفص.

"هذه هي طبيعتُها،" قال الجرذ، "أن تعمل للحب و أن تكونَ محبوبةً!"

أيَّدهُ يسوع المصلوبُ. الذي بدا مفعماً بالرّوحانيّة على الرّغم من عينيه المتصالبتين وشارِبَيِّ اللص المكسيكي اللذين رسمهما أحدهم عليه.

*

ياللسّاحرات، ياللبؤس! الاثنتان اللتان عاينتا بنظرة جانبيّة نحول عنقي عبر قضبان قفص الطيور الذي أحمله على كتفي...

كانتا أصغر وألطف من أن تكونا ساحرتين في كتاب حكايا. ارتدتا فستانين قصيرين للحفلات، وجوارب نسائية مخططة، وعلى الشفاه طلاء أحمر سميك.

الأشجار الرّؤومُ قدّمتْ أوراقها حَضْناتٍ هامسةً فوق المجازِ الذي يلوبُ بالريح حيث تلاشتْ الاثنتان في آخر الأمر.

تُرِكْتُ مع قفصي، بِثِقَله الهائل، وصحن القوتِ الأبله، والأدهى من ذلك مرآة الزينة السخيفة، وصوت الجرس الفضيّ الواهن.

*

علمتُ مرّةً، ثم نسيتُ. كان الأمر كأنني غفوتُ في حقلٍ لأكتشف لدى يقظتي أن أيكةً من الشجر قد نهضَتْ من حولي.

"لا تشكّ في شيء، صدّقْ كلّ شيء"، تلك كانت فكرة صديقي عن الميتافيزيقيا، مع أن زوجته هجرته لتذهب مع أخيه. أما هو فلا يزال يشتري وردةً لأجلها كلّ يوم، ملازِماً البيت الخاوي طيلة العشرين سنة التي تلَتْ متحدِّثاً إليها عن أحوال الطقس.

كنتُ سهوتُ في إغفاءةٍ وجيزةٍ تحت الظلّ، فرأيتُ فيما يرى النائم أن الأشجار ذات الحفيف كانت ذواتي العديدة التي تعبّر عن ذاتها جميعاً في ذات الوقت فلم يتسنَّ لي أن أنبسَ ببنتِ شفة. كانت حياتي لغزاً أخّاذاً على حافّةِ التَّجَلّي، أبداً على الحافّة! فكِّرْ بها لوهلة!

منزلُ صديقي خاوٍ وكلّ نافذةٍ منه مُضاءة. والأشجار الدّاكنة تطفر في تكاثرها حول كل جهات البيت.

*

المتفرّجُ المثاليّ هو ذاك الذي يحيا من أجل الفنّ وحسب، ويداه مطويّتان خلف ظهره. القّماشةُ البيضاء تستحقُّ أن تُسَمّى "بيضاء" في حضرته. إنها تمامُ الحادية عشرة والنصف قبل الظهر في متحف المقاطعة. بوسعِ أيٍّ كان سماع قرقرة معدة الحارس في بزّته الرسمية، بوجهه الذي يبدو كوجه شخصٍ غرق في ضوء القمر.

*

آلاف الرجال العجائز بسراويلهم المُنْزَلَةِ هاجعون في المراحيض العامّة. أنتَ تُبالغ! أنتَ تهذي! آلاف المريمات والمجدليّات يبكينَ عند أقدامهم.

*

سيُقَيَّض لإبهامي أن يشهد مغامرةً عظيمة. "أرجوك، لاتذهب،" تستجدي الأصابع. ثم تحاولُ ثَنيَه. هنا تَصِلُ ليموزين سوداء وعلى متنها امرأةٌ ذات خمار في المقعد الخلفيّ، وما من أحد خلف المقود. وإذ تتوقف السيارة، تتناول مقصّاً ذهبياً من حقيبة يدِها وتقطعُ الإبهام. نحن برفقتها في طريقنا إلى شيكاغو نستعمِلُ جَدَعَةَ إبهامي المدمّاة لطليِ شفتيها.

أربع قصائد
عمار شرف الدين

1
فى الخريف
وحين يظهر الندى على الزجاج
يود لو يعرف أي سحابةٍ حزينةٍ
وقفت أمامهُ، أي سحابةٍ بكت واتكأت عليه
**
يتكسر الزجاج إلى شظايا
فيراها الجميع على أنها جارحة
أحب مثل هذه القوة
القوة التى فى مفارقة ضعف الجماعة
**
من شفافيته من براءتهِ
لا يعرف الزجاج الذى بالداخل
مِن الذى بالخارج
2

لا أقتل شيئًا ولا النملة التى تلسعني
هذه المثالية المفرطة لا تخدعني
لأنه بالمقابل أقتل نفسي مِراراً
فى كل ليلةٍ أرتقى بالسهرِ درجةً فى الألم..
**
الأشياء التى لم يختارها نوح للنجاة
كل يومٍ تمد يداً لها من على رأسي
كأنني أصنع فلكاً جديداً
**
أدفع الكثير من حياتي للتهور

هذه الغريزة التى دفعت بنا للتواجد
أريد أن أستنفد طاقتها القصوى
**
أُحَرّك يداي ببطءٍ من على اللحاف
رغم أن الأرجل تهتز بصورةٍ فجةٍ ومزعجة
لا أتحكم حتى فى عضوين مهمين علي
ورغم ذلك أريد للعالم أن يتوقف عن شرهِ
**
الخدعة التى انطلت علينا مُضيّ الزمان
والحقيقة أنه لم يتزحزح شِبراً
إنه يدفع عنه الجميع بحنقٍ وتلقائيةٍ
كما يهش أحدهم الذباب عن وجهه..

3

فى هذه الحالة والظهيرة تؤلمني وتتألم
فليغفر لى رأسي
غير الهجير وغيري، أحمِّله هم العالم كله
**
أقول ستحترق الخرطوم وأتراجع عن قولي
إنها تتعرق فى الظهيرة فقط
من جلوسها الممتد أسفل الشمس في قلب "السافنا"
**
فلتعلميني أيتها المدينة الشاحبة
أن أكون غير مبالياً مثلك
لا بالأحياء الناقمون وهم على ذاكرتي
ولا بالموتى الضجرون المنسيون فى ركامي
**
غبارك الأحمر الناعم عالقاً بأحذيتى
وفى اليوم الموعود أيتها المدينة
سيحتضن ترابك أقدامي دون حذاءٍ

وأتمنى من أثرك عليهما أن يعرفني، أن يقول وصلت

4

رأسي يسقط باتجاه ويداي باتجاه
حتى أننى لا أستطيع حك رأسي
وأنا أفكر فى قاتلي بفعلته هذه
هل حرمني أم أراحني؟
**
بينما جسدي يتفصد فى الأسفلت
تحت عجلة العربة، يُسحَقُ معي سؤالي
العربة التى صدمتني !
هل اهتمت، هل ذمرت لي، قبل أن تدهسني؟
**
رأسي على الحبل مع الزبد تخرج حيرةً
الحبل بالعقدةِ، هل أذيته، هل قسوت عليه
**
سيناريوهات عديده لموت شنيع أتخيلها
أماكن كثيرة أَلِفتها من كثر ما مُت عليها
قبور كثيرة فى مخيلتي
لطالما ضممتها على صدري كأنها طفلي...

السودان

خمس قصائد

نمر سعدي

موسيقى

اليومَ في القلبِ موسيقى ترمِّمُني
كأنَّ جيتارةَ الأحلامِ في روحي
أبوابُ نسوةِ قلبي أُغلقتْ.. وأنا
أضعتُ ما في حنيني من مفاتيحِ
أعانقُ الريحَ وحدي.. ما من امرأةٍ
إلَّا وكانت صدى قبضٍ من الريحِ
أو خيمةً من سرابِ الموجِ مغلقةً
لا تحتوي أحداً في الأرضِ أو توحي
ضِلِّيلُ رغبتها قلبي.. وما خُلقتْ
إلَّا لتكملَ نقصانَ التباريحِ
كلسعةِ الحبِّ.. كالصيفِ الأخيرِ..
كأسرابِ النوارسِ في ليلِ المصابيحِ
شدِّي جراحي بجرحِ الماءِ يا امرأتي
وضاعفيني بعطرِ الوردِ والشيحِ
أحبُّ منكِ طفولاتٍ مشبَّعةٍ
بوردةِ الماءِ أو عطرِ المراجيحِ
ولا أحبُّ نساءً فيكِ.. تغمرني
ثلوجهنَّ، سخيَّاتٍ بتلويحِ
كلُّ الأغاني التي ضاعتْ وأجملها
تمرُّ من وترٍ في القلبِ مجروحِ
عشبٌ على قمرٍ، هذي الكتابةُ أو
فراشةٌ طمستْ عصرَ التماسيحِ
حلمٌ يرفرفُ في عينيَّ.. نرجسةٌ
لأجملِ امرأةٍ عنقاءَ في روحي

حبق الأغنيات

أحبُّ طفولتها.. لا أحبُّ شبيهاتها
أتذكَّرُ بوحَ اليراغيلِ قبلَ ثلاثينَ عاماً
وماءَ صباها الذي يتقطَّرُ من وردةِ الشهدِ
دبكتها حرَّةً كالصدى وشماليَّةً.. رقصها البرجوازيَّ
نقشَ فراشاتها وعصافيرَ حنَّائها في شفاهي
ومبثوثةً في جميعِ الجهاتْ
أتذكَّرُ وقعَ خطاها على قمرٍ معشبٍ في حزيران
أو حبقَ الأغنياتْ
أحبُّ طفولتها وندى شمسها وسنابلها في الفلاةْ

لا شيءَ في الاستعارةِ

ألا يتعبُ القلبُ من ركضهِ؟
ألا تشبعُ الروحُ من عبِّها للسرابْ؟
وفي جسدي جذوةٌ تتراقصُ في قمَّةِ الريحِ
أو ألفُ نايٍ جريحِ
ولا شيءَ في الاستعارةِ.. لا شيءَ..
لا ضوءَ في حجرٍ دارسٍ
ولا ظلَّ للظلِّ...
من لهفةِ الطينِ يمتدُّ غيمُ العبارةِ
من حكمةِ الحالمينَ إلى ما تريدُ المحارةُ
من قلقِ الرملِ أو هجرةِ القبَّراتِ
وتمتدُّ رؤيايَ من شغفٍ عالقٍ في الثيابِ
إلى امرأةٍ سوفَ تنبعُ شمسُ ابتسامتها
من صباحاتِ آبْ

نوستالجيا

أتذكَّرُ الولدَ الخجولَ
ونسوةً يرقصنَ في بهوِ الخريفِ
ورغبةَ الإيقاعِ، والحنَّاءَ، والقمرَ النحيلَ
أصابعَ الزيتونِ، دربَ العطرِ والليمونِ يفضي
للشموسِ الخضرِ في ليلِ الجليلْ
أتذكَّرُ الأعراسَ.. خفقَ الهالِ في كلِّ الجهاتِ الستِّ
والعطرَ الفرنسيَّ الثقيلْ
والريحَ في القمصانِ أو طعمَ الغبارِ
وجلوةَ امرأةِ النهارِ
وبحَّةَ الحادي وماءَ الحزنِ في عينيهِ والوجعَ النبيلْ
أتذكَّرُ العمرَ الجميلْ
ينسابُ من قلبي
ومن عينينِ حالمتينِ في أقصى المرايا..
والحنينَ المستحيلْ
أتذكرُّ الوادي.. جراحَ العشبِ والناياتِ
أحلى أغنياتِ القمحِ
رائحةَ الأنوثةِ في هبوبِ الصيفِ
والسهرَ الشتائيَّ الطويلْ

أنامُ لأنسى

هذهِ شرفةٌ للقصيدةِ أم فسحةٌ للخواءْ؟
زقاقُ العناقِ الضروريِّ أم شاطئٌ قاحلٌ
نتنادى على كلِّ أشباهنا فيهِ
أو نتصادى مع الغرباءْ؟
هنا عابراتٌ يمِّسدنَ أشعارهنَّ على رجعِ موجِ الغناءْ
وندامى يمرُّونَ في الريحِ
أو يحرثونَ مدى البحرِ بحثاً عن اللا حقيقةِ والما وراءْ
القصيدةُ لن تصلحَ الذكرياتِ وما أفسدَ الدهرُ

من عرباتِ الليالي وأخيلةِ الشعراءْ
القصيدةُ قبضُ هوىً أو هواءْ
أنامُ لأنسى.. وأنسى لأكتبَ نثرَ الحنينِ
وشِعراً على الماءِ
أو أتشافى سريعاً من الصيفِ والشوقِ
كيما أغنّي كجون كيتسَ: يا ليتني نجمةٌ في سماءْ
*

- فلسطين

باتزمي *
إبراهيم اليوسف

العيد الذي احتفلت به طويلا مع أصدقائي ورفاقي **الإيزيديين** كل عام وانتم بخير. إلى صديقاتي وأصدقائي **الإيزيديين** وبخاصة: **الجيلكان** منهم

***

"آنـذاك، منـذ الأزل، نـزل علينـا الله معشـر الإيزيـديين، متحـدثاً إلينـا بالكردية ليبعث فينا نبياً"

"المصحف الأسود- السفر"52

متأخرٌ عن شالك... وأدري
متأخرٌ عن شمالك... وأدري..
متأخرٌ عن النياشين المرتمية على ورع البيوت
متأخرٌ عني وأخجل إزاء الشكل
متأخرٌ.. وهلا عبرت لحظتئذ..!؟
متأخرٌ... وهذه سلالاتك تجهر
هلا التقطت أصابعك أزل الرحيق!؟
كيما أتعثر مثلك بالفضة تنزل في البريق
السَّفيه
هلا أبلغت طواويسي المائة عن سماء تساورها
لتكنز بدأبها الملكيّ على الأعتاب
توقظ رسلي من شهواتِهم الخائبة
ها أنذا أهتفُ،
مغتسلاً بالمصحف الأسود2
بقرابينَ تستدرك شأنَ الهلام
لعلي أوازي بأس الخس،
تؤثرني البرهةُ المحتدمة
تلبس شوقها الفسيح
لأستردَّ الكلام الأزرق للطيور المدهشة
وأحرس الأفق

طويلاً نسيت القفطان يسردُ أخيلة الجهات
لا وربّ النشيد، لم أكن مخذولاً
أنسج الابتهال
كأنَّ هراء يرهج على مرأى الأزيز المتقوس
كأن لا ذيل للمشيئة يسدل الأواصر في متن باهت
ها أنا متأخر
شديدٌ أزفّ أسمائي إلى الحيرة كي أخذل النعوة
في هزلٍ ترابيّ
جناحاكَ متأخرانِ عن الهواء...، وأنت،
صباحك كظيم سيدي!!
والأرجوان معلّق غناءَه
غريبٌ مثلك- في دواخلك- المحتفلة بحرائق لا تهمُّ
ونساءٍ لا يهمنَ.....
متأخرٌ- وسواد العين -
كأنني الأولُ
كأنني الأخيرُ
كأنَّ الأولين ليسوا رعيةً للصوت
كأني لست مؤدِّب الذرا
شديدٌ...، وأغادر البهو المكتئب
على حين غرّة
وخريطة
بالنوارجِ
بالقشّ
بالنعنع الثرثار
برشفٍ أكيدٍ يسنُّه فمُ" كريفي" صريحاً
ها هو...أنا المتجبِّر المهزوم
بالطنبورة التي يحرسها الجدار
من الجان
والبربر
أساريرُ يمدحها السكوت
يتبعني زهوي المديد

تتبعني خريطة للاحتمال، ما خلعت إزار الفتوى
صغيِّر- يا فلذة الكبد-
وملك طاووس
أنهبُ هواء
وأتبعُ غبار القوافل
ناصعَ النشيد
بكهفٍ
وتجاعيدَ
وأحابيلَ عناكب
بأعداءَ ورقيين ومكائد
برقعةٍ لا تستسيغُ الضيوف
بفائضٍ من أفكٍ مرٍّ
لا وعينيك...
لا وتيجانك...
لا ومناديل كريفي...
زاهٍ، ولا تزال متبخترا بعتبك الخابوري
وعنب الفراديس المطيع
بلى، يرهقني ما يكللك من وطن
وشحوب
بلى
وأنزل حين لحيتك الفصيحة
على خدر وهامش تبعثره النشوة
بأصناف للالتباس
بلى
والملك عينه وملته
أهوائه وصولجانه
يدونني الريش
كمملكة صفراء
وأطلب- العين-
لتبين ترقبها النبوي
أوجل ذا الضجيج

أدع أشجار اللَّوز على خجلها
ودمي
أرفع الحباحب الطيبة
أؤجل تهِ المتعة البائسة
-أعنيني-
لأؤمَّ
بالخرائب
وأرتق النعيق
لا، والملك الجميل
شهياً
بأنحائه
رزيناً بالأرز والأناشيد
لا وذروة تجلس إلى المريدين
في عشائهم
وبخورهم
بلا شال
وقطران
تنهبني الخطيئة، تشغل الساعة
والقميص
تقف على رجلين
ملكيتين
متأخرون سيدي....
متأخرون
حزانى
كواد
و وأد
نطرد برائحتنا غبار القصص
ها الصوت يصل!...
الحلم، والمرأة، والوطن
عسى ماء يذكر الملامح المنهوبة
مصطفياً زردشت4 الصَّفو

عسى ناراً تدرك ذهبّها الكرديَّ
وتقترح الأعياد
ها أنا بعد ذلك ماجداً
منكسراً
منكسراً
منكسراً
ها أنتم- على عادة لبكائي الجميل والسماء
المبتلة بالسأم
تكظمون عن غيظ
ولا تعفون عن جبال!....
لا طاعة تجفل بين أيدينا
لا غزلان يشعل خوفها بوجوهكم المعطرة
مراثينا
حتَّام تظلُّ السورة في طأطأة الرنين!؟
ترياقنا الفأل
المهاميز
نامت في شهقة الصلصال
لا تلوي على حدود وأطياف
طويل....هذا العويل.. طويل
شاسع وعينيك.....
غزيرٌ هذا الألق الخرافيُّ
وعزيزٌ
يقبس أساطير الرُّعاة على عنتٍ لجدائهم
نازفاً حسراتِه المجيدةَ على أعشابٍ عالية
وأمداء وارفة
يا لك أيها الشاهق..
كالخبر الثَّقيل
ياللبيشمركي5 المواظب على زمهرير
ومساء
أحجالك كثيرة.. عيني
جهاتك كثيرة...عيني

لغاتك كثيرة
حين تنهبُ ما فيك من لعنة ولغة
سكاكينك ثلجية أصابت الخرس الطيب
والجبال المستيقظة على هاتيك الممرات
والأسماء
كثيرٌ أنت كثير
وقليلٌ كثير
قليل
قليل
تعرف.. كأنك قادم إلى ترف هارب
شهم تعبر النزيف إلى خطل حلو
شهم- والطيوف - تشهقها عيون لليزيديات
في كتابك الموصد عليك
تسهر ببلاغتهن على الخيوط المربكة
يا لها تلك المتعة الهندسية!...
لا تخرج إلا إلى هزائم
وزرقة
وعسل مريب
لا....
متأخر... أنا، والظلال أمامي
أصدق الوطن يهذي بالألقاب الغريبة
والقادة الجلفين
يا أمنا!...
-أرضعنا غير رائحتك الملتبسة ب"شيلان"
وفضاء جبلي...!؟
يا أمنا... ونحن الخطيئة، أوقعنا سرابٌ
يقتفيه السرب
لم يكن حزنك أصغر من أجساد بنيك
أصدِّق أنني طارئ عليَّ
وأسلم للضيوف رنين المفاتيح
بهيجاً

لأنام في عراء!...
كأن لا وقع لأزلي فوق الشَّبق وفتنة المرجان
لا بحر يؤدي إليَّ
أأهذي؟!
-لا وزهوك القدوس، لن أبكي
ثمة آلهة تؤديهم الشكيمة
ثمة شهيد يكفي الأغنية
ثمة وطن يكفي القصيدة
لا والريش الجميل
لا، والريش هذا
..إنك الأحلى
وسأرفع لك الدماء ما أشاء
والإجلال
ثم ليكن من بعدي
الوطن
ولتكن اليزيديات بنهود
يرقبها الله
-بلعاب سماوي-
يزيديات ذبحن في خدودهن اَللوز
والدرَّاق
باهظٌ سمَّاق هذا الأسى
أقايضه بالتراتيل المتوجسة
لعلَّ رماداً يسكب دهاءه
يربت على بوحه المجوسي
لأنهضنَّ
ولتنهض في الرقعة خلوةُ الغدير الموار
مزن الخطوات المرّ
يفتتن في شال وشاب6 الرجال
قبل تطواف حول- قبا شرف الدين-
قبل صلاة في- ستونا مرادا-6زار
قبل ترتيلة كسيرة

في" بزل خانة"
كما نشيدي الأول.....
كما عبقي الغابر.....
كما كل ذلك.....
كما خطاياك يا أمنا!...

---

*عيد مقدس عند" **الإيزيديين**" جميعاً "كما يفضلون تسميتهم"، بيد أن"**الجيلكان**" هم من يشرفون على الإعداد له وممارسة طقوسه.

** الكتاب الشهير والمقدس عند **الإيزيديين**.

1. "**كريف**" الاشبين.. والأنثى "**كريفي**" وهذه المفردة الأخيرة مطلع لأغنية كردية تراثية مؤثرة. لقد أُستخدِم المصطلحُ كحاجز" رديء" بين إيزيديي الكرد، ومسلميهم، إلى وقت متأخر، للأسف!...
2. هي الآلة التي تعزف عليها موسيقا الله الأثيرة، والموسيقار الإيزيدي مطالب بتقبيل الطنبورة قبل الشروع بالعزف نظراً لقدسية هذه الآلة، التي لا بد من أن تعلق على جدار كل بيت يزيدي.
3. **ملك طاووس** رئيس الملائكة الذي نزل على الأرض فوق شجرة **الهرهر**، ليلة رأس السنة في هيئة طاووس، وليلة رأس السنة عد الإيزيديين تصادف أول أربعاء من نيسان، حسب التقويم الكردي.
4. النبي زردشت نفسه.
5. المقاتل الكردي.
6. اللباس الكردي.
7. أمكنة مقدسة عند الإيزيديين، ويضاف إليها" **لالش وبيرافات**" أما بيرافات فهي التي ستشفع يوم القيامة للإيزيديين بأن تسدل عليهم منديلها كي تقيهم من النار.

قصائد
أحمد حافظ

يجب أن نتعامل مع الليل بجدية أكثر
أعني لماذا حتي الأن لم يفكر أحد
في صنع شيء علي غرار الشمسيات
يقينا الكآبة المتساقطة من السماء
أو عقار يدعم مناعتنا ضد الأرق.
اي شيء بدل النوم...
لماذا نستسلم فقط وندعي الموت
مضحّين بنصف أعمارنا لانتظار الصباح.
ونحن نعرف أن الشمس قد تغرب غداً
للأبد
*
الورود التي تعرض عن النور
أليست هي حقاً احجار
وفي أي براكين ستحشر
بعماها
ما جدوى النور إن لم يتفتح
وردة في النظر
وأي جحيم ستراه العين
التي لم تخشع لترتيل الوحي

*
تمزق أوصالي وحوش
الريح الأربعة
خائف وخوفي يتسع
أنا في كل زاوية
من هذا الليل الشاسع

.
بصري حديد والموجودات
براكين ومطارق

.
تركته عاريا واختبأت
أنت يا حبيبي
من سرقت صورة النسيم؟!

.
مهلك مولاي مالك تخطئني
خذني قبل الورد النائم
اكنسني مع ظلام الأمس
مع اخر نجمة
لا تفضح وحدتي لشمس اخرى

.
يا غراب الوقت الصامت
اخرج من قفص الأحلام
ابتلع
سنابل أيامي اليابسة
ابتلع
جثث سنيني العجفاء

*
أكورديون في صدري
لا رئتان!
أكورديون بين يدي الحزن
هذا الذي يعزف حياتي، وقسراً يجعلني أتنفس.

*
صارت الكلمات أثقل
نحتاج ميزاناً أقوى
لنُصرف هذه العبارات الثقيلة التي صارت شائعة؛

أعني:
ما أصل "مذبحة"
إلي أي جذر نستطيع أن نُرجع
"الانتحار"
بأي نحو وكيف حقاً سنعرب هذا:
"مات الشاعر قبل أن يكمل معجزته، غرق في البحر الأبيض."

*
كقمر يدور حولي هذا الحزن،
كإله وثني يسرق مني النور...
أفهرس أيامي علي ضوء حجر
حياتي حقاً تأريخ للظلمات
أبداً هو مكتمل، تميمة الحزن هذا
دائماً هو هناك ليبتلع الوقت.
والليل عندي سرمد وثقيل
الليل عندي كألف سنة مما تعدون

- **السودان**

الصلاة لا تعاد إلى كأس اللغة
محمد نجيم

لم يسلمها سيجارة شقراء كتلك التي يدخنها جنرال أصلع من إحدى قبائل السويد. فكرت في إطلاق رصاصة من فمها على الجنرال الذي يوجه عينه اليسرى إلى صدرها النافر. فكرت في الأوغاد اللذين لا يأتون فرادى إلى الحقل. الهواء فاسد في أسفل تنورة الراقصة التي تسجن العصافير في ضحكتها وتتبول، كلما هزها الشوق، على نارٍ مُتقدة في كأس السلطان. لا ينبغي أن تفكر في أعشاب الحديقة وأنت ذاهب إلى الحرب. على شفتيها زرع الله ابتسامة معقوفة كنظرة المسيح إلى جنود يقودونه إلى الموت. يمكن للبنت أن تشتهي الفلاح الأعور الذي نسي صلاته في قفطان الرمل. يمكنها أن تشتهي الكلب الذي ينبح أكثر سبع مرات قبل انبلاج الفجر. الصلاة لا تعاد إلى كأس اللغة .الطفل الأجرب اللّعين يمكن أن يَعبر، في حلمه، إلى ثوب الراقصة؛ الراقصة التي تسرَّب من يدها النحيلة قطعة من الشمس وزبيب الله وشكولاتة سوداء كتلك التي توجد في بيت الساحرة .يمكن لكل من في الحفل أن يعيد النظر في قانون الجاذبية. يمكن لهم أن يلْعنوا نيوتن كما يشاء الراهب وبائع الخبز بجانب الكنيسة الغامضة .يمكن لهم، أيضا، أن يشككوا في موت سقراط بجرعة زائدة من السم القاتل. يمكن للمرايا أن تتصارع بينها في البحر. يمكن للنار أن تتقد وحدها من يد فتاة عذراء تطعم العصافير قمح ابتسامتها.

المغرب

ستبقين المرأةَ الزاهيةَ كهذه المدينة الخالدة

فراس حج محمد

كم امرأةٍ ستحملها الحروفُ
ببعضِ وصفكْ
كم امرأةٍ هناك سترتدي ثوب الصباحِ
لأجلكْ
كم امرأةٍ هناك ستنتشي بالشعرِ
تَسْمعني بشعركْ
كم امرأة ستمشي دونما خطواتها
وتستهدي بخطوكْ
كم امرأةٍ سترشف رشف قهوتها
فترشفُ كأسَ خمركْ
كم امرأةٍ ستغضب من قصائدنا
فيأكلها اللظى
لجمال سَمْتكْ
كم امرأةٍ ستخلع ثوبها عند المساءِ
وترتدي أزهار حبّكْ
كم امرأةٍ ستكرهني
كُرْهَ الغوايةِ
تستعيذ بنور وجهكْ
كم امرأةٍ ستغزل نفسها وتراً على
ألحان صوتكْ
كم امرأةٍ ستلعن كلّ شيءْ
إن لم تكن هِيَ في المكانةِ
غيمَ وصلكْ
كم امرأةٍ ستبكي الليلْ
وتمسح دمعها بعبير طيفكْ
كم امرأةٍ وشمسٍ لا ترى غير الظلالِ
بشمس ظلّكْ

كم امرأةٍ ستخفض رأسها
إن مرّ في الأنسامِ بعضُ هبوبِ عطركْ
كم امرأةٍ ستهزم نفسها
وتموت في أهدابِ عينكْ
هذي المدينة شأنُها تزهو على فتياتها
لجلالِ قدركْ

- **فلسطين**

سببية
رامز النويصري

لسبب ما
أجدني قادرًا على الطيران
ومستعدا للذهاب بعيداً
أبعد من عينيك وأكثر
في التفاصيل التي تشدّك
وتطلبين أن أتقنها.
*
ولذات السبب
أحاول أن اكون رفيقاً
وهادئا
لا أزعج عصفورة القلب
ولا أوقظ طير الشغب
أتسرّب كنسمةٍ
أعبر كظل
وأراقب كمراَة
*
وللسبب ذاته الذي لا أعرفه
أغامر بالبقاء قريبا
قريبا في مدى العطر،
عطرك
وله
ولغيره من الاسباب
لا املّ المحاولة.

- **طرابلس، ١٤ ديسمبر ٢٠٢٢**

قصائد قصيرة
فتحية البو

قناديل

يخاصمني زمني
كالحلم،
ينظمني سطورا قزحية
يضيئني قناديل
نجوما، شمسا
وحين أقارب الاكتمال
يسحبني لونا لونا
يمحو شفتي
ويرويني هامشا
لحكاية قديمة

ألغام

وُلدتُ طائراً
أيتُها السماء
وكلُّ هذي الأسوار هَدايا
من ألغامِ الطّريق
وفي رأسي
يترجل حلم عن غيمه
لينحت وجها
من طينه القديم
على ناصية الوقت

مقايضة

وبين صُبحٍ
يتثاءبُ عَلَى النافذة
وليلٍ نَسيَ وجهَه
على الطّريق
أَمنحُ الغُربةَ علَماً
وأُقايِضُني بِكلمات

إطلالة

ها أنا
أسحب ذيلي
وأطلّ عليّ
من بين دفّتي كتاب
"كافكا"
هل أنت سعيد الآن؟

لا شيء

وإن عرقوب تجنّى
وإن رشحت بالبياض مواعيد،
أحمر الشفاه
يرسم لوحته كل صباح
لتبتسم المرآة
والنهارات
زند كلمات وسقط ضحكات
لا شيء أبدا وقع
فلم تصرّ، أيها الظل،
أنني، من ألمي،
أريد أتصدّع
والشارعُ
ذهِل عن لَغوِ حذائي

حين بلّلهُ المطر
وأصاخَ طويلاً
لِلأمواج

- المغرب

قصيدتان
هند زيتوني

- **رقصة النار**

يخمدُ الصمتُ في جسدي
وأنا أولمُ - نارَ التحدّي–
"لن نعتذرَ عمّا فعلنا" سنحطّمُ أوثانَ الخجل
تسلّقنا قمَّةَ الرغبة، وبيدِنا قدحٌ من العطش
من سيؤدِّي رقصةَ النار؟
ويبني خيمةً للخارجينَ من التَّقوى؟
جسدي... عنقودٌ من العنب
يكسوه رذاذُ الشوق
مرجانٌ يتلألأُ بمائه
تقطفه وتحمله بإصبعين
يذوبُ في فمِك كقطعةٍ من السُّكَّر
لم تبخلْ عليكَ آلهة الضوء
جعلتكَ تغرقُ في شمسي
تحوَّلتَ إلى شعاع

- **من وإلى**

إلى الحُبّ الذي ينمو بجنون
كنبتةٍ بريَّةٍ على حوافِّ الرُّوح
إلى النَّارِ المقدَّسةِ التي تَشبُّ كلَّما تَعانقْنا
إلى الأنهارِ البعيدةِ التي لا تروي
لكنها تبكي كثيراً لرؤيةِ امرأةٍ حزينةٍ مثلي

إلى نهرِ عينيكَ الذي يغرقني بلا رحمة
ويركعُ على ركبتيه... من أجلِ قبلةٍ واحدة

يجيدُ اصطيادي وذبحي وتحنيطي
إلى عينيكَ اللتين تغزلان لي بيتاً آمناً
من خيوطِ الشغف
وتنسجانِ حقلاً من الأشواق
لغزالةِ حبّنا الشاردة

إليكَ حين تحملني
على فرسِ الدَهشة
نحلّقُ بعيداً في سهوبِ التيه
نضيعُ في كهوفِ الحبِّ الممنوع
نغوصُ في حكايا رماديَّة
نلوّنها بلعابِ الحُبِّ الشَفَّاف
إلينا حين نعود مبلّلين من الأشواق
واللهفة ومن عصير اللقاء

- **سورية**

شوقي أبي شقرا يختطّ سكّة الحداثة

محمود شريح

شوقي أبي شقرا، الشاعر المستقلّ بمدرسته، الناقد الملهم برؤيته، المُترجم الحاذق في تعريبه، المولود عند نهر بيروت إثر نزول أهله من راشيّا إليه، هو الذي أخذ بيدي إلى صفحة الثقافة في **النهار** منذ آب 1977، وصوّبَ قلمي وصحّحَ صَرفي ونَحوي، ها هو اليوم في طريقه إلى التسعين، طالَ عمره، يصدرُ ديوانه **أنت والأُنملة تداعبان خصورهنّ** (دار نلسن، 2022)، فيقف من جديد ومنذ ديوانه الأوّل **أكياس الفقراء** (1959)، ممشوق القوام، طالعاً من منهج البكالوريا الرسمي ومرسّخاً السوريالية بحرفها العربي، فكأنه أدرك موقعه الجغرافي على خارطة الحداثة.

الكلمة اختارت زماني وأن تراني أسوق الورقة
لأكون كلّ الفصول
لتنزل لتسكن عروتي
فإذا بكلمته وردة الجبل تتقبّل التهاني.

هي حداثةٌ شرّعها المعلّم شوقي منذ الخمسينيات مع **"حلقة الثريّا"** مع إدمون رزق وجورج غانم وميشيل نعمه وفي مجلّة شعر مع الخال وأدونيس والحاج والماغوط ورفقه، ثم رعى الثقافة العربية، من محيط إلى خليج، من مربضه في مبنى النهار، فأطلق جيلاً، ناثراً وشاعراً، وحرّر القصيدة السائدة من قيودها المستبدّة فأعاد إلى جبل التفّاح رونقَه الثقافي الوافد من الريحاني وجبران وسعادة، تكملةً منطقية لجرأة أهلِه التي أرساها اليازجي والبستاني والشدياق، فلم يخرج في جديده على سهوب الفكر وقمم المعجم:

وجهي السُّنبلة ولا يصحو أحد
من القمح الراكد ومن جفوني الهيفاء

فخُذْ يا قارئي بيدك قاموسَ الريف وفتّش فيه عن هذه المداخيل تصل

صعوداً إلى بحيرة اللاوعي الكامن في سراديب النفس التي لا يفقه غورَها إلا الضالعون في الانقلاب الشعري الذي أرساه جماعة شعر ومن لفَّ لفّهم ولبسَ قبّعهم ولحق بربعهم.

أبي شقرا الطالع من حكمة الأشرفيّة معلّما إلى بيت شباب وصحافياً في بيروت وموجّها فكرياً يعيدُ كتابة القصيدة بشكل ومضمون مُشبعيْن بطقس الجبل ومذاق فاكهته، تبقى عبارته نضرة ومزدانة بقوس قُزَح لا تخفت ألوانه يصلُ أعالي صنّين بساحل لارناكه.

أبي شقرا لم يأتِ من خارج التراث، فما من شاعر يأتي من خارج التراث ويصمد في معترك الشِّعر، لكنّه انشقّ عن التراث بعد أن استوعبَه وهضمَه، فأضراسُه، ولله الحمد، طاحونة لغويّة، يصحّ فيها القول بعد سبعة عقود على كتابته القصيدة ما قالَه معلّمنا في العقيدة **فؤاد سليمان**: "الميزان الذي لا خللَ فيه هو ميزان الزمان"، وغداً حين تهدأ قرقعة الادعاء ودويّها الهائل الذي يكاد يصمُّ الآذان فيحجب عنها سماع موسيقى الطبيعة النضرة، وغداً حين تخفّ وطأة التبجّح وأثرها البغيض الذي يكاد يُعمي البصرَ عن رؤية الخضرة الذهبية للواقع، غداً يدركُ جماعة النقد المتسرّعون ورهط البحث المتأنّقون أنهم أغفلوا سماعَ نبضِ الشوق وهمسَ الوجد، فغابَ عنهم نقاءُ الورد وصفاءُ النّدى، وها هو يجسّدُ شوقه ويؤرّخُ همسَه بمعجم يخصّه وحده:

على أرنبة أنفي شعاع البرد
سألبس الخريف لأبتعد عن العثرات تندلق على شرشفي
لتنزل شواربي عن زهو الأفريز
لتهطل القرية على ذاك الأيسر
يتماوج وحيث أُفق وأدلُّ الحبَّ
على دفتر الطريق،
على النعاس الآتي
على شريان أحمر هو ضيعتي

على هذا النحو بقي أبي شقرا يختطّ سكّة الحداثة الشاقّة ويهمدر وحده هامساً محرّكاً التراث ومنقلباً على أخاديده الوعرة، فهذا الجبل الأشمّ ناحتُه لهو ثقافةُ الأعالي وقممُ اللياقة.

رأى **أبي شقرا** أنّ الشكلَ واجبُ الوجوب قبل المضمون وأنّ الشكلَ الذي يصوغه هو الذي يحوّلُ القصيدة إلى جوهرة نادرة تقاومُ عاديات الزمان. لغتُه قائمة على الصقل وعلى النفاذ إلى الأعماق، إلى سرّ التكوين اللفظي. عبارتُه هي شاغله الخاصّ وعودةُ اللغة بكراً وإعادة صوغ كأنّه صوغٌ للمرّة الأُولى في كل قصيدة، أي هيئته.

غابَ زهرُ اللّوزِ أبعد...

م. علاء الدين عبد المولى

(كتبت هذه المرثية عند رحيل محمود درويش)

مدعوّ قلمي ليسيل حبره في رثائك... مدعوّ للشهود على رحيلك... والقلم يرفض الانضباط على مشهد موتك... ولكن... لا مجاز و((**لا غموض ولا وضوح... السّروة انكسرت وهذا كل ما في الأمر... إن السّروة انكسرت**))... فماذا يفعلُ القلب بالخلود؟ وما حاجةُ الشاعر بعد الانكسار النهائي لتبيان فضائل القصيدة وأثر المنفى على الروح وأثر الفراشة على صدر يحمل آثار التكوين العاشر قبل فلسطين التي كانت تسمى فلسطين وصارت تسمى محمود درويش؟ من أنا حتّى أتبرع برثائك وأهدهد عويل الريح الكونية حول جثتك؟ أعطني يا معلّم قدرة تحمّل إلقاء مجرّة من وداع على جسدك وهو ينحت أيقونتَه الأخيرة، معلقة في معبد الفضاء البعيد...

هل فكّرتَ بغيركَ وأنت ترفع يدك لتقول وداعاً؟ غيرك الآن ملايين موزعون في أمكنة تتلاشى بأزمنتها، كما فقدَ مكانُك زمانه الثابت وتحوّل إلى مشاريع محتملة... لكن... كانت مهنتك أن تفكر بغيرك... أجل. ولكنه حقك في أن تموت... ولا يحق لأحد أن يساومك على هذا الحق. حيث هو حقك الوحيد الذي يمكن أن تمارسه دون طلب تصريح من عدو ولا تبرير من صديق... خذ موتك واحمله كما تريد... خذ موتك الذي ربيته كما تربّي الأمل... كم مرة ربيت أملا ناقصا وحياةً ناقصة؟ خذ موتك كاملا الآن... الآن أكملت رسالتك فينا وبيننا... وقبلنا أن تموت لأنه لا خيار لنا في تحريف مشيئة الطبيعة، وخصوصا طبيعتك التي لا يعادلها إلا الفرادة والاستثناء...

يا معلم أنا لا أتقن الحديث عنكَ... بل أتقن أن أكون مسحورا هائماً سائرا في حليب النور على إيقاع صوتك... وأورّط قصيدتي بك لأرث قصيدتك بكامل وحدتها وعبقريتها... لا أتقن رثاءك ولا عقلنة موقفي من شعرك... لهذا أكتفي بأن أهمس في جسدك وهو عائد إلى فلسطينك التي أوصتك أن توصي بأن تدفن فيها... أهمس في جسدك:

أنك جسدٌ تحمل روحاً مكونة من طبائع الخالدين لا لبس ولا غموض...

الخلود؟ ماذا تفعل به الآن؟ وماذا كنتَ ستفعل بحياةٍ قصيرة وعمرٍ سريع؟ ماذا كنت ستفعل بالمزيد من الحياة وعمرك ينقص ولا يكتملُ الوطن ولا ينتصر الحب ولا يتراجع الكون عن آثامه؟ ماذا ستفعل بالإيغال في عالم مصرّ على أن يبقى مصاص الدماء؟ ولكنه مصّاص دماء انتقائي... لهذا لا تأبهْ لاستغاثاتنا وتضرعاتنا بأن تبقى حيّا. لأنك سوف تبقى حيا من أجلنا لا من أجلك، وهذا يسلبك حق الموت: الحق الشرعي الوحيد... حق تقرير الموت... بعد أن التبس المصير وتقاتل على تحديده حتى أبناء فلسطين..

منذ عشرات السنين والهجرات والمذابح والمدن المستعارة استعارةً مخزية، وأنت تلعب مع الموت. وحين كان يعلو سور الدم حتى يكاد يغطي جغرافية بصيرتك، كنت تدحر الدّم بالسخرية واستدعاء قناع الممثّل الشاطر الذي يدّعي أنه على موعد مع الموت، وحين يدق الموت بابكَ كنت تفتح له ولكن بعد أن تهرب من النافذة، أو تختفي خلف ظل ورقة، أو في نقطة حبر... أما كنت تعلم أن الموت هذه المرة لن يدق الباب، بل سوف تراه ساكنا داخلك كما يشتهي وكما ينبغي لموت يصنع نهاية مبدع لا شريك له في تاريخ الشعر عبر العصور؟ خذ موتك وانصرف هذه المرة غير بعيد عن قبور المعري والمتنبي ونيرودا ولوركا، وقل لهم أن يتأخروا خلفك قليلاً أو كثيراً... خذ موتَك ووزّعه على حياتنا حتى نستريح من البكاء عليك، ونتعب في انتظارك من جديد...

يا معلّم... علمتنا فن الانتظار ونسيته، علّمتنا، إذا استطعنا سبيلا، أن نحبّ الحياة، وتركتها تغادرك هذه المرة... **"ارفعوا عني التنفس الاصطناعي... أريد أن أحيا موتي بجلال وجمال..."** هل تطير الآن كقطن فوق الغمام؟ ماذا ترى؟ حدّثنا يا معلم... ألم تسمّ نفسك حكيماً؟ قل لنا ماذا ترى إذاً في الطرف الآخر من الكينونة... انقل لنا تجربة الرحيل حتى نريح ونستريح... نريد أحدا رجع من الموت الحقيقي وخبّرنا. فلتكن أنت... لأني أعلم أن الموت لن يطيق صداقتك، وسوف

يرسلك من جديد عبر قصائدك سفيرا للجنة، سيهرب منك الفناء فليس له عمل معك، وأنت وهو كل في شأن...

تعبت من حياتنا، حياتك، حياتهم... صرفت مجهود الأحلام والأسفار والانتظار وأجراس الأعياد وأنت تتوقّع أندلساً يولد من ظلال الأقصى الذي يتكلّم فيه النبي العربيّةَ الفصحى... وخذلك الأندلس والفاتحون والغيتارات والموشّحات... لم يبق لك إلا الهروب من ممالك الطّوائف وأمراء الظلام وفقهاء القشور... ابن رشد احترقت كتبه من جديد، وما زالت ولاّدةُ تحرس مخدع الوهم وأنت لا تأتي لأنك عندما كنت تأتي كان مخدع ولادة محروسا بجنود أورشليم...

السلام عليك يا معلّم... البحر عليك وموجاته وزوارقه... الصيف عليك وبياراته وحمضياته... السلام على شهر آب جعلته أقسى الشهور بعد أن كان نيسان أقسى الشهور، في نيسان رحل نزار قباني فاستفرد به، وهذا أنت تستفرد بشهر آب...

السلام على أصابعك ارتجفت تحت ثلج الغربة وقرعت أبوابا وأغلقت عيون أحباب ماتوا... السلام على عينيك أبصرتا ما لا تقع عليه عين، ممّا ملأنا بالضجيج الدموي والجنازات المتتالية التي صارت تلعب مع طرقاتنا لعبة الشطرنج ولكن بلا قلاع ولا فيلة... فقط وزراء وجنود تحوّلوا إلى ملوك طالعين من رماد التوراة...

يا معلّم... نعرف مدى الفرح الذي يشعر به مجد الشعر وقد مررت عليه، ونعرف مدى الحزن الذئبي الذي يعضّ قلب فلسطين لأنها لم ترجع إلى قبرك كاملة مكملة، سالمة غانمة. لكنها سيرة الروح الغجري الساكن في حقائب المنامات ومساند المقاعد في جوف المطارات. شدّ الأحزمة للمرة الأخيرة، أو استرح... لا تُتعِبْ يديك، هذه المرة سوف يشدّون الحزام على تابوتك... وهذه المرة لن تحدّق في عيني مضيفة الطيران، بل ستحدق فيك ظلمات مكدسة فوق ظلمات، ريثما تحط بجثتك الطائرة فوق أرض فلسطين... هل انتبهتَ كيف تعود إلى وطنك كل مرة؟ بالتقسيط... تدخل عمان ثم تتجه إلى

رام الله... حتى جثتك سوق تكون وفية للعودة الناقصة: ستحط جثتك في عمان ثم إلى فلسطين...

من قال إلى فلسطين طريق واحد؟ إلى فلسطين طرق مختلفة... منها أن تعود العودة الأخيرة جثةً كان اسمها قبل أيام محمود درويش...

تموت أنت ونحن نتفرج على تفاصيل موتك... ما أمرّ طعم السخرية... كنّا ننتظر موعد نقل أمسيتك من دمشق أو رام الله أو بيت لحم أو تونس أو المغرب أو أو... نرتجف ونحن ننتظرك ننسى اللقمة في فمنا، وكأس الشاي يسقط من اليد ونحن نحملق فيك ونسلّمك مفاتيحنا كلها لأنها لا تعمل إلاّ بأصابعك، مفاتيح القلب والروح والجنون والمتعة، مفاتيح الفردوس... والآن نحن نحملق في الأمسيات نفسها ولكن المفاتيح ضاعت، والمتعة صارت سوطا يجلد صمتنا ويستدعي بكاءنا...

موتكَ حدثٌ لا يستطيع العقل أن يحيط به، ولن أضحك على نفسي وأعزيها بكلمات مستهلكة من مثيل: (المبدع لا يموت... شعره باق، سوف نتحدّث معه من خلال شعره، الجسد رحل أما الروح...الخ). لن أعزّي نفسي بكل هذا... لن يعزيني أحد ولا فكرة ولا شخص ولا امرأة ولا خلود ولا شعر ولا نثر ولا قرآن ولا إيمان ولا... لن يعزّي أحد قلبي ويمنعه من العويل والولولة الداخلية... لأني احتكرت أن أعيش الحزن الأليم والبكاء المجنون من أجل رحيل عدد قليل من الأشخاص لا يتجاوزون عدد أصابع يدي الواحدة... الآن نقصوا واحدا وهو الأول بموتك... لهذا سأبكي ليل نهار... وأعلن حداداً خاصا بي... وأفتح عروقي لنار اللوعة والفقدان... سأجلد قلبي لأنك رحلت... سأدْمي أعماقي وأضرّجها بلون الشمس المشنوقة بالموج لأنك رحلت... سأبكي عليك بكاءً ما بكيته حتى على أبي ولا أمي... إذ ليس ممكنا أن أشهد هكذا بسرعة رحيلك... فماذا أقول لزهر اللوز من بعدك؟ وهو صار نشيدنا الوطنيّ؟ ماذا يقول الناعي لحورية؟ أسمعتها وهي تزغرد وتبكي؟ هي لم تشبع من رؤيتك، لأنك لست ابنا عاديا، صدقت بكاءها وما صدقت زغاريدها... أنت زرت

ما تبقى من أسرتك قبل مدة وكانت زيارة الوداع... وقبلها كنت تقرأ في آخر أمسياتك (أحن إلى خبز أمي) لأنك تعرف أنك سوف تموت وأنك إذا متّ تخجل من دمع أمك... لقد رتبت موتك وأجّلته ريثما تنهي مراسيم الوداع لكل ما يمكن أن يطاله الوداع... كنت من سنوات تقول لنا في أمسياتك وقصائدك ونثرك: أنا سأموت بعد مدة ليست قصيرة... كان (الجمهور) يصفّق لك لأنه يحسب ذلك بلاغة ومهارة فنية... أما الذين كانوا لا يصفقون ويكتفون بالتأمل في ملامح وجهك ونبرة صوتك المتهدج دائما المتكسر كقلب اللوز أو أقرب، فهؤلاء كانوا يخافون عليك... لأنهم يلتقطون رسالة موتك ويهيئون أنفسهم للحظة الأخيرة. ورغم كل تجهيزاتنا لموتك صعقنا به وفجعنا، صعقت وفجعت كما لو أن زلزالاً تحرك من تحتي فأقام الدنيا ولم يقعدها... فلا تصدّق قوتنا وتمثيلنا، نحن مفجوعون ومصعوقون وغير مصدقين... ونشعر أن الأرض نقص عدد دوراتها، والكواكب ارتطمت ببعضها وستبقى أعماقنا مشوشة طويلاً...

لن يملأ مكانك أحد... لا تصدق آراءنا النقدية التي تتقنع بالبرودة ووهم العقل وتقول: إن أمة أنجبت شاعرا مثلك ليست عاجزة عن إنجاب واحد مثله... هراء فلا تصدق... لأن الأمة لن تنجب مثلك... لا الأمة ولا الأمهات ولا التاريخ ولا المستقبل... أنت مررت على كوكبنا مثل شهاب لا شبيه له... مصنوع من طينة خاصة نعم... والذي أنشأك وأبرأك لن يقدر على تكرار ذلك مع غيرك...

صدق أنك الأهمّ والأبقى والأميز، هذا لا يعنيك؟ حسنا... جوابك لا يعنينا أيضا... أنت عليك أن تمر فوق كوكبنا فقط واترك الباقي علينا نحن الذين رأينا ماذا تفعل، وكيف تتحرك، وبأية لغة تتحدث، وأي قصيدة تكتب، نحن الذين علينا الحفاظ على فرادتك واستثنائيتك، وسنفاخر بها الأمم يوم يتفاخرون...

كنت مزاجيّا ؟ كنتَ حادّ الطباع ؟ كنت لا تتحمل الآخرين؟ كنت حذرا في الانفتاح على الشخص الجديد الذي تتعرّف عليه؟ نعم. هذا حقك... ولتسكت ألسنة النميمة والوشاية...

كنت تريد أن يتحرر الشعر من وظيفة تحويل فلسطين إلى خطبة سياسية للتجارة؟ كنت تدعو الشعراء للكفّ عن كتابة فلسطين على النحو الذي يسيئون فيه إليها؟. نعم... هذا صواب الصواب... هذا هو الشعر الحقيقيّ... وكانوا يتّهمونك بهذا؟ طوبى لك متهما بأنك تريد الدفاع عن مهمة الشعر من جهةٍ، ومهمّة فلسطين من جهة ثانية... شتموك لأنك تريد تحقيق الشعر الصافي النقي... وكانوا أنفسهم يظلمون...

يا معلّم... أيها الصانع الأمهر... تطفّل عليك شعراء كثيرون من فلسطين وخارجها، منهم من قلّدَ، ومنهم من تأثّر، ولكن منهم من شتمك وأساء إليك وفي الوقت نفسه عاش عالةً على شعرك على مدى عقود... لم تردّ على شتيمة، لم تدخل في مهاترة، لم تدافع عن نفسك أمام رياح السموم، لأنك تؤمن أن نسيم صباك أقوى رائحة وأنفذ أثراً في نفوس الهائمين بذكرك...

يا معلّم... الأسودُ أكثر مما تتوقّع، يا من ورّطتنا بحبك العظيم، ونصبت حولنا شباكَ السحر وأنت تنزل من عالي السحاب ملكاً بأرجوان كنعانيّ، تزفّك صبايا الأساطير وتتدفق من رجليك ينابيعُ تغتسل فيها نساء وصياداتُ المرجان... هلكت روحي وأنا ألهث وراءكَ كما يطاردُ عاشق تفّاحة هيلين... بعيداً كنتَ وأقربَ من ظلّي... فتحتَ لي ممالك دهشة في اللغة ما دخلتها على يد أحد غيرك ولن أجد حتى يوم القيامة من يدخلني إليها مثلك... بنيتَ لي ذائقةً صرت معها أشرب حتى فنجان قهوتي وأنت ماثلٌ لعينيّ... ملأتَ أيامي بالصمت والتأمل والحكمة البوذية الدّرويشيّة... يا درويشَ اللغات والمجازات الخارقة... تدور حول نار الشعر راقصا على نبض الوجود... يا من شهدت عبقريّتكَ على عبقريّةِ الخرابِ والقتل والاغتيال... طوبى لك ومنازل شهداء وعارفين وواصلين إلى السّدرة... حقّك علينا أن ندافع عنك في رحيلك كما دافعت عنا في رحيلنا... حقك علينا أن نحافظ على نشيد زهر اللوز... وأن نستعيد من جديد ولو بعد حين قدرتنا على السخرية... وأن نواصلَ السفر في جمالك الخاص كما يسافر المؤمنون إلى مقدساتهم...

يا معلّم... وأخيراً، أعدك أنا أن أكون وريثك الشعري الحقيقيّ لأنّ إرثك الفريد جديرٌ بأن يعثر على أحدٍ يواصلُه ويكملُه، وأعدك بأني سأكون هذا الأحد... يا من ليس مثله أحد...

غابَ زهرُ اللوز أبعدْ

والفراشات على آثارها دلّ الهباءْ

سقطت من وترِ الماءِ حَماماتُ الجليلْ

وانتهى في جوقة المنفى الغناءْ

2008/8/10

محمد علي شمس الدين:
الشاعر الذي كتبَ بلغة الرؤيا
نمر سعدي

أُعجبتُ بكلامهِ عندما رأيتهُ يتحدثُ على فضائيّةٍ سعوديةٍ عن سرياليةِ المتنبي.. قالَ أنَ بيت المتنبي المشهور (نحنُ قومٌ ملجنّ في ثوبِ ناسٍ فوقَ طيرٍ لها شخوصُ الجمالِ) أروعُ ما لدى العرب من تراثٍ سرياليّ.. ولو عاصرَ دالي المتنبي لرسمَ هذا البيت رسماً يدهشُ كلَّ نقَّادِ الفنِ الحديثْ. كانَ ذلكَ منذُ سنواتٍ عدَّة.. كانَ الشاعر ذكيَّاً في طريقةِ نقاشهِ وعرضهِ لمشكلاتِ الشعرِ العربي الحديث.. ومراوغاً في الإجابةِ على الأسئلةِ الشائكة ومحدِّثاً لبقاً وشاعراً يملكُ ثقافةً استثنائيةً فذَّةً لا زالت تبهرني وتدهشني حتى اليوم.
كانَ يتدفَّقُ في كلامهِ كالنهرِ البريء وكنتُ في شوقٍ مُشتعلٍ بكلِ حرائقِ الشعرِ لسماعهِ.
ولا أُنكر أنني متأثِّرٌ بالشعرِ اللبناني تأثُّراً جارفاً وخصوصاً بالجنوبي منهُ وشاعريهِ الجميلين محمد علي شمس الدين وشوقي بزيع.. اللذين خلخلا بقصيدتهم التفعيلية وتجديدهم الجمالِّي الجريء مسلَّمات القصيدة العربية الحديثة وغيَّرا مسارها بقوة كأنهما أحفادُ بروميثيوس وحملةُ مشعلهِ المقدَّس في الأرضِ المظلمة. أو أحفادُ ديكِ الجنّ الحمصي في بلادِ الشام. ديكِ الجنّ الحمصي الذي تغنَّيا بهِ وبعشقهِ وغيرتهِ وجنونهِ طويلاً.

محمد علي شمس الدين شاعر يدينُ لهُ فنيَّاً وعلى مستوى بناءِ القصيدة الحديثة الكثيرُ من الشعراءِ العرب فهو يعرفُ ماذا يريدُ من الشعرِ ومن نفسهِ أيضاً. تعرفتُ إليهِ عبر دواوينهِ الشعرية التي لا تتركُ القارئ في اطمئنانهِ الشعري أبداً وتدفعهُ للقلقِ المضني والبحث عن الآفاقِ الجديدة المجهولة.
كنتُ قد قرأتهُ بنهمٍ ضارٍ قبلَ عدَّةِ سنواتٍ فأدركتُ انني أقفُ أمامَ قامةٍ

سامقةٍ وضاربةٍ في أقصى سماءِ اللغة. لمستُ في كتابتهِ الشعريةِ نموذجاً شعرياً حداثوياً نقيَّاً من الزوائدِ والشوائبِ ومكتوباً بحساسّيةٍ عاليةٍ وتركيزٍ جمٍّ قلما وجدتهما عند غيرهِ من الشعراءِ المعاصرين.
هو يتغلغلُ بحسّهِ الصافي وذكائهِ الفطري إلى جوهرِ الحداثةِ وسرِّها الدفين متشرِّباً بها حتى النخاع. ومشبعاً ظمأ فؤادهِ وروحهِ التي ترفرفُ في محيطٍ يلهثُ شعراؤهُ في شمسِ الصحراءِ العربيةِ القاسية.
أظنُّ أنَّ الكثير من الشعراءِ العربِ تأثروا ظاهرياً بالحداثةِ المستوردةِ من الغربِ وربما بأفكارها أيضاً ولكنهم ظلّوا بعيدينَ عن نفسّيتها والخوض في غمارها ذلكَ أنهم لم يرضعوا لبانها في المهادِ ولم يدرجوا على هواها في الطفولة وإنما تلّقوها عن مدارسَ ومنظرّين وشعراءٍ تأثروا بها أكثر من معانقة نارِ حقيقتها. ومعرفةِ خفاياها.
ولا أريد أن أشيرَ إلى شعراءَ كأدونيس وعبد العزيزِ المقالحِ هنا وهم في نظري مجدِّين في الأشكال الشعرية أكثر منهم مجدِّدين في المضامين. بل أكتفي بالقولِ أنَّ شعراءَ الحداثةِ المرموقينَ بذلوا قصارى جهدهم لكي يصلوا إلى حالةِ الرضى النفسي حولَ تجاربهم الشعريةِ. ومنهم محمود درويش وسعدي يوسف ونزيه أبو عفش وحسب الشيخ جعفر ولكنهم لبعدهم عن منابعِ الثقافةِ الفرنكفونية في فترةٍ مبكّرةٍ على تفتُّحهم الشعريّ أخفقوا في كتابةِ قصيدةٍ عربيةٍ ينطبقُ عليها مقياسُ الحداثةِ بكلِّ الجماليَّاتِ والعناصرِ المتعارفِ عليها.
يقول حولَ سؤال عن الماضي في شعرهِ وتجليَّات الحياةِ الجميلة: (عمليّة القطع مع السيرة ليست سهلة ولا صحيحة. الحداثيّون في الغرب Modernists قطعوا مع الماضي، حتى إن (مایاکوفسکي) اعتبر الرومنسيّة كعضو مريض في جسم حيّ. ايضاً (يوجين يونسكو) المسرحي السوريالي الفرنسي، كتب هجائيات لفكتور هوغو. ثمّ استيقظ العالم على ما بعد الحداثة ليجد أن الحداثيين لم يفهموا جدل العلاقة مع الماضي. لا شيء يموت. كلّ شيء يولد. الولادة هي تجدّد. كلّ قصيدة تخزن كلّ الشعر. لا يؤسّس تجاوز على أي جهل. المعادلة هنا دقيقة جدّاً وخطيرة)

شمسُ الدين شاعر ثقافةٍ مركبَّة كما يقولُ عنهُ المستشرق الإسباني

بيدرو مارتينيث مونتابيث فما أن فتحَ عينيهِ على دنيا الشعرِ إلاَّ وجدَ نفسهُ متوقِّراً على منابعِ الكبارِ من الشعراءِ النبوئيون أمثال مالارميه وبودلير ولوتريامون ورامبو هؤلاء اللذينَ جعلوا للقصيدةِ رؤى مجنَّحةً ولما يتصّلُ بها من طقوسٍ لكتابتها أداةً لفهمِ واقعِ الحديدِ والذهب.. وخيطاً رفيعاً من النورِ يربطهم بالوحيِ ولغةِ الأحلامِ الشفيفِ الرفيعة.

لا أعرفُ سبب قلَّةِ انتاج الشعراءِ اللبنانيين وعلى رأسهم محمد علي شمس الدين الذي لم ينتج نصف ما أنتجهُ مجايلوهُ فلهُ عشرة دواوين صغيرةِ الحجمِ كبيرةِ القيمةِ أولها(قصائد مهرَّبة إلى حبيبتي آسيا) وآخرها (الغيومُ التي في الضواحي) الصادر عام 2008 الذي نلمسُ فيهِ لوعةَ ومرارةَ حرب تموز عام 2006ولا يفارقنا شبحُ الحزن على ما حصلَ بالجنوب. ولهُ أيضاً ثلاثةُ كتبٍ نقديةٍ هي رياح حجرية ..والطواف.. وحلقاتُ العزلة. ويحضرني الآن أيضاً الشاعر اللبناني أنسي الحاج فقد بنى مجدهُ الشعري على أقَّل من سبعةِ دواوين. فالمسألة مسألة كيف لا كم في الكتابة.

منذُ ديوان شاعرنا الأوَّلِ (قصائد مهرَّبة إلى حبيبتي آسيا) الصادر عام 1975 وهو في ارتقاءٍ تعبيريٍّ مستمرٍ نحوَ الكمالِ المجازيِ. فهو يشدِّد كثيراً على الناحيةِ الصوريةِ والحسيَّة في قصيدتهِ. ونجدُ في ديوانهِ هذا أنهُ منذُ بداياتهِ لا يقولُ كلاماً مجانياً ولا يحفلُ بالشعاراتِ المستهلكةِ ولا بالتقريريةِ. هناكَ فقط ايحاءٌ شعريٌّ فذٌّ وتراكيب منحوتةٌ من أقصى الروحِ.

نراهُ بعدَ ذلكَ يصعدُ في أفقٍ تخييلي مزركش بالألوانِ الضاريةِ وفي اتجاهٍ عموديٍ في أعمالهِ اللاحقةِ مثل (أما آنَ للرقصِ أن ينتهي؟) فنلمسُ هذا التمرَّدَ الخطيرَ على ترسُّباتِ القصيدةِ العربيةِ من أواخرِ الستينياتِ إلى يومنا هذا. ونجدُ أيضاً التبرَّم الواضحَ بأساليبِ الذينَ يرتكزونَ على التراثِ من غيرِ أن يفهموا متطلباتِ الكتابة الشعريةِ الجديدةِ ووعيها العميق. فهم لا يعترفونَ بأنَّ وراءَ الليلِ التتريِّ شمساً للحرية.

فالقصيدةُ مشروعُ مغامرةٍ وتحدٍّ دائمٍ وليسَ في الشاعرِ الإشكاليِّ أيَّةُ صفةٍ تدعو إلى القناعةِ والكفافِ على مستوى الخيالِ والرؤيا.. فهو في بحثٍ مستمرٍ عن الأمثل والأجدر.

وفي قلقٍ وجوديّ كأنَّ الريحَ تحتهُ وكأنهُ على سفينةِ السندبادْ.
إذن نحنُ أمامَ شاعرٍ عربيّ اشكاليّ يبلغُ في كتابتهِ أقصى حدودِ الاشكاليةِ والجمالِ وما بعدهما تغني قراءتهُ كلَّ بضعةِ شهور عن عشراتٍ غيرهُ ولهذا السبب أجدني أعودُ إليهِ كُلَّ بضعةٍ شهورٍ لأقفَ على مصادرِ الرحيقِ والشهدِ. لا لشيءٍ فقط لجدَّةِ معانيهِ وكثافةِ صورهِ وأصالتهِ. وهذا ما حدا ببعضِ النقادِ العربِ إلى الإشادةِ بأهميةِ تجربتهِ والإشارةِ إلى قدرتهِ غيرِ المسبوقةِ على استعمالِ الرموزِ والأساطيرِ وتوظيفها بالشكلِ اللائق.
فهو قيس وجميل وكلُّ العشَّاق العرب في آن واحدٍ وهو يستندُ على التراثِ العربي بقدرِ ما يستندُ على التراثِ الغربي.. يقولُ في آخرِ دواوينهِ (الغيوم التي في الضواحي) في قصيدة (وجهٌ لليلى) ويرتكزُ على ما تبقَّى من الضوءِ في عينيّ ليلى العربيةِ كما ارتكز أراغون على عيني إلزا من قبلهِ:

باب ليلى
كان عشقي لها يعذبني
وموتي جميلا
على قاب قوسين من بابها
يصطفيني
تقول:
وهل أنت قيس العليل؟
أقول: نعم
وأضيف: القتيل
إن ليلى
التي لا تزال هناك
محجبة لا تراني
تحيط بها نسوة من حديد
ورجال عبيد
ونسر عجوز على بابها
يرصد القادمين إليها
فيا أهلها في العراق
اسمعوا زفرتي

وهي تمضي مع الريح
أو دمعتي
وهي موصولة بالفرات الجريح
من الشام تمضي
مواكب عشقي
وتحمل راياتها
في الفلاة
وتحدي لها
بالغناء الحداة
ولكن ما حيّر العقل
حتى براه الجنون
أن ليلى
-التي مت في حبها ألف عام-
تخون.

في الحادي عشر من سبتمبر عام 2022 حلَّقَ شاعري الذي أحبُّ محمد علي شمس الدين عاليا بجناحين من نور.. وارتقى الصوفيُّ مغسولا بعذاباته الوجودية ومضاءً بأحلامِ العاشق ..
الشعراء الحقيقيون لا يموتون.. هم يستريحون كالريحِ المتعبة من نحت الماء على ربوةِ الصدى.. ويداوونَ أرواحهم من عَذاب الجمال والحب...
لروحك السلام والخلود والرحمة يا شمسَ القصيدة.

- **فلسطين**